جمهورية مصر العربية
مجمع اللغة العربية
الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث

كتاب الشوارد

أو

ما تفرد به بعض أئمة اللغة

تأليف

الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني

(المتوفى سنة ٦٥٠ هـ)

تحقيق وتقديم
مصطفى حجازي
المدير العام للمعجمات وأحياء التراث
مجمع اللغة العربية

مراجعة
الدكتور محمد مهدي علام
الأمين العام لمجمع اللغة العربية

الطبعة الأولى

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم
للدكتور مهدى علام

ينقسم هذا التحقيق إلى مقدمة ، ومتن الكتاب ، والتعليقات ، ثم الفهارس الفنية .

أما المقدمة – مقدمة المحقق – فعمل علمى رفيع المستوى ، فى شمولها و دقتها . فقد عرض فيها لمؤلف الكتاب ، فى نسبه ، ومولده ، ووفاته ، وما استطاع تجميعه من أخبار حياته ، وما أمكنه الوصول إليه – وهو شيءٌ كثير – من مؤلفاته ، وشيوخه ، وتلاميذه . وقد تناول ذلك (فى الأصل الذى اطلعت عليه) أكثر من عشرين صفحة .

ثم تنتقل المقدمة إلى الحديث عن الكتاب ، اسمه ، ومنزلته فى ميدانه ، ومنهج مؤلفه فيه . ثم تتناول وصف المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما التحقيق ، وصفا علميا دقيقا . وتنتهى المقدمة ببيان منهج التحقيق ، وهو منهج يجمع بين عموميات قواعد التحقيق ، وخصوصيات تحقيق النصوص اللغوية ، وعلى الأخص المعاجم .

وقد لجأ المحقق إلى هذا المنهج الذى فرضته طبيعة النص الذى يحققه ، ليس لمجرد أنه معجم لغوى – تعتمد قيمته على دقة الضبط لألفاظه – بل لأنه فى المقام الأول ، نص يقوم على ألفاظ انفرد بها بعض أئمة اللغة ، أى أن جمهرة علماء اللغة لا يعرفونها مطلقا ، أو لا يعرفونها بالصيغة التى أوردها بها الصغانى .

أما تعليقات المحقق فهى مثل للعناية بتعقب هذه الشوارد فى مظانها ، وإثبات ما يتفق وما يختلف بشأن ضبطها ، وأحيانا بشأن وجودها . وتناولت هذه التعليقات التعريف بالأعلام التى وردت – أعلام اللغويين ، وأعلام القُرّاء – تعريفا موجزا مفيدا .

وأرجو ألا يكون من تزكية النفس أن أقرر أنه لولا ممارستى المتواصلة لألفاظ اللغة (فى قراءتى الكاملة لكل من : لسان العرب ، وقاموس الفيروزابادى ، والمصباح المنير) لما استطعت

أن أتابع هذا النص فى تحقيقه . وأنا أذكر ذلك لكى يكون تعبيرى عن الإعجاب بهذا التحقيق تعبيرا صادرا ممن شقى (أو سعد) بمتاهات اللغة واللغويين ، وليس إعجاب مجاملة .

إن هذا الكتاب قد يعتبره بعض الناس متحفا للغّة يضم المهجور منها . ولو أنه كان كذلك لكان عملاً عظيما جديرا بالدرس والتحقيق والرعاية . ولكنه يشتمل على كثير مما نحتاج إليه فى تعبيرنا اليوم ، ونحتال فى الوصول إلى ما نريد منه بالتعبير بالجملة ، وبالمرادف المقارب . وقد استرعى نظرى — وأنا أقرأ الكتاب — عدد من الألفاظ التى طالما تمنيت أن أجدها ، وسأذكر طرفا من ذلك :

الدَّعامة : الشَّرْط ، يقال : بيننا وبين بنى فلان دَعامة ، لا يغير بعضنا على بعض .
وهذا هو الذى يسمى فى اللغة الدولية معاهدة عدم الاعتداء : Non - aggression pact

المُصَتَّم : الوادى الذى ليس له منفذ ، والزقاق إذا لم يكن له منفذ فهو مُصَتَّم .
وهذا يسعفنا فى ترجمة : Blind alley, Cul - de - sac

العَنَفَة : الذى يضربه الماءُ فيدير الرَّحى .

فَصَّ الصبىُّ يَفِص فصيصًا : وهو البكاء الضعيف : whimper

الفَلْحَسَة : اللؤم .

قَرَّت الحيّة تَقِرّ قريرًا : صَوَّتت . { وربما كان منه التعبير : فلان يُقَرّ (يُوَرّ) }.

العَبَكَة : العقدة التى تكون فى الحبل ، فيبلى الحبل وتبقى العبكة .

العُود : العظم فى أصل اللسان ، وهو عود اللسان .
ويبدو أن هذا هو منشأُ التعبير : « أنت قلتها بعظمة لسانك » .

العَذِمة من النخل : التى تحمل فلا يكون لحملها نَوًى .
وهو الذى يسمى بالإنجليزية : Stoneless

الغَوالين : التى تشبه الضلوع فى السفينة ، الواحد غَوْلانٌ : Ribs

افْتَثُوا له : إذا كان شاكيًا ، ولم يقدر على حَمّام عمدوا إلى حجارة فأَحْمَوْها ، ورَشُّوا عليها الماء ، وأَكَبَّ عليها الوجِعُ ليعْرَق ، (وهذه براعة فى الطب البدائى) .

إلى غير ذلك من ذخائر اللغة التى قد تتحلى بها أساليبنا ، وقد تتحلى بها متاحفنا اللغوية .

ومن الإنصاف ألَّا أترك هذا التصدير دون أن أذكر قليلًا من فضل محقق هذا الكتاب : الأُستاذ مصطفى حجازى . لقد سعدت بلقائه والعمل معه فى مجال اللغة ، فى مجمع اللغة العربية ، قرابة ربع قرن فوجدته واحدًا من أقل القليل الثقات فى اللغة ، الذين تتدفق معارفهم الوثيقة على أطراف ألسنتهم .

لقد تخرج من كلية دار العلوم سنة ١٩٥٠ وبعد حصوله على الليسانس حصل من معهد التربية العالى على دبلوم فى التربية ، وعمل بالتدريس عشر سنوات سعد المجمع بعدها بضمه إليه ، فكان موئل الاستشارة ومركز الثقة ، حتى وصل إلى قمة الوظائف الفنية فى المجمع مديرًا عامًا للمعاجم وإحياء التراث . وله نحو عشرين مجلدًا فى التحقيق اللغوى والأدبى والتاريخى . وأنا أرجو أن يُعَدَّ ثبت مفصل بذلك فى آخر هذا المجلد .

وبعد فإنى أُقدم لأهل العلم فى اللغة العربية هذا التحقيق الذى أسعدنى أن أقرأه قبلهم ، وأن أُقدمه إليهم .

محمد مهدى علام
الأمين العام لمجمع اللغة العربية
ومقرر لجنة احياء التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم المحقق

في هذه المقدمة نتحدث عن الصغاني – مؤلف هذا الكتاب – ويشمل الحديث عنه :

نسبه ، مولده ، وفاته ، وما تُسْعِف به المراجع من أخبار حياته وسيرته ، وما تهدى إليه من أسماء شيوخه ، وتلاميذه ، ومُصَنَّفاته .

ثم نتحدث عن الكتاب : اسمه ، وأهميته ، ومنهج المصنف فيه ، ووصف ما اعتمدنا عليه من نسخ في إخراجه ، والمنهج الذي نهجناه في تحقيقه .

الصغاني(*) (٥٧٧ هـ = ٦٥٠ هـ)

نسبه ، وكنيته ، ولقبه :

يُكْنَى الصَّغاني بأَبي الفضائل ، ويُلَقَّبُ برَضِيِّ الدين ، أما نسبه فهو – كما ذكره في مقدمة كتابه العباب – : « الحَسَنُ بنُ محمدِ بن الحَسَن بن حَيْدَر بنِ علي بن إسماعيلَ العُمَرِيّ » .

(*) في ترجمة الصغاني انظر :

– سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣ : ٢٩٢

– الوافي بالوفيات الصفدي ١١/٢٧ ، ٢٨

– تاريخ بغداد لابن رافع ٤٨ : ٤٩

– الحوادث الجامعة لابن الفوطي ٢٦٢ : ٢٦٤

– النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٧ : ٢٦

– بغية الوعاة للسيوطي ١/٥١٩–٥٢١

– معجم الأدباء لياقوت ٩/ ١٨٩ –١٩١

– مرآة الجنان لليافعي ٤/ ١٢١

– البدر الطالع للشوكاني ١/ ٢١٠

– شذرات الذهب لابن العماد ٥/ ٢٥٠

– الجواهر المضية للقرشي ١/ ٢٠١ ، ٢٠٢

– تاج التراجم لابن قطلوبغا ١٧/ ١٨

– مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٩٨ ، ٩٩

– الفوائد البهية للكنوي ص ٦٣ ، ٦٤

– كشف الظنون لحاجي خليفة ، الصفحات : ٨٧ ، ١١٦ ، ٢٥١ ، ، ٣٩٥ ، ٥٥٣ ، ٧٣١ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٧ ، ١٠٧٢ ، ١٠٨٧ ، ١١٢١ ، ١٢٥٠ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٤ ، ١٤٢٤ ، ١٤٣٨ ، ١٤٦١ ، ١٥٩٩ ، ١٦٨٨ ، ١٧٠٥ ، ١٧٧٦ ، ١٨٠٨ ، ١٨٣٢ ، ١٩٨٠ .

ويعنى بالعُمَرى أنَّ نسبه ينتهى إلى أمير المؤمنين – عمر بن الخطاب – (رضى الله عنه) وقد يزاد فى نسبه « العَدوىّ القُرشِىّ » نسبةً إلى قبيلة عَدِىّ القرشية التى ينتمى إليها جده الأعلى عمر بن الخطّاب ، وبعضُهم يضيف إلى ذلك « اللّاهورى » نسبة إلى البلد الذى ولد فيه ، ويقال أيضًا : « الحَنَفِىُّ النحوىُّ اللغوىّ » وواضح أن ذلك نسبة إلى مذهبه الفقهى ، وإلى ما اشتهر به من علوم العربية التى أكثر التأليف فيها وهو بالصَّغانى أشهر ، وقد كان حريصًا على أن يُمَيِّزَ نفسَه بهذه النسبة ، وعليها اقتصر ياقوت أيضًا فى معجم الأُدباء[1] .

وفى معجم البلدان فى رسم « صغانيان » ضبطها ياقوت بالفتح ، وبعد الألف نون ثم ياء مُثَنَّاة من تحت ، وآخره نون وقال : ولاية عظيمة فى « ما وراء النهر » ، متصلة الأعمال بِترْمِذَ . . . وقد نسبوا إليها على لفظين : صغانى[2] ، وصاغانى وذكر الفيروزابادى نحوًا من ذلك فى القاموس (ص غ ن) .

– روضات الجنات للخوانسارى ٢٢٣

– إيضاح المكنون للبغدادى ٤٣٣/٢

– الصغانى (دراسة لأفكاره وآثاره اللغوية) رسالة دكتوراه (د . عبد محمد الطيب) مدرس بكلية اللغة العربية بأسيوط .

– الصغانى أبو الفضائل رضى الدين :

– مقال للأستاذ عبد الستار فراج (مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ٢٦ الجزء الأول ص ٥١) .

الصغانى : مقال للدكتور حسين على محفوظ (مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٣٤ ص ٨٨) .

(١) معجم الأدباء ١٨٩/٩ – ١٩١ .

(٢) قال ياقوت والعجم يبدلون الصاد جيما فيقولون جغانيان .

(٣) ذكر ياقوت فى رسم صغانيان ممن عرفوا بهذه النسبة – غير المصنف – :

(أ) أبو بكر محمد بن إسحاق بن جعفر الصغانى ، نزل بغداد ، أحد الثقات ، يروى عن أبى القاسم النبيل ، وأبى مسهر ، وعبد الله بن موسى ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم ، روى عنه مسلم بن الحجاج القشيرى ، وأبو عيسى الترمذى ، ومات سنة ٢٧٠ هـ .

(ب) أبو العباس ، الفضل بن العباس بن يحيى بن الحسين الصغانى ، له تصانيف فى كل فن ، وتصنيفه فى الحديث أحسنها ، سمع أبا الحسن محمد بن الحسين العلوى ، ومحمد بن محمد بن عبد وس الحيرى ، قدم بغداد سنة ٤٢٠ هـ حاجا وسمع منه أبو بكر الخطيب .

مولده ووفاته :

تجمع مصادر ترجمة الصغانى على أن مولده كان بمدينة « لاهور »[1] عاصمة باكستان الآن ، يوم الخميس العاشر من صفر سنة ٥٧٧ هـ ، وتُجْمِع أيضًا على أن وفاته كانت ببغداد – سنة ٦٥٠ هـ ، ويذكر بعضها أن ذلك كان ليلة الجمعة التاسعة عشر من شعبان فى تلك السنة ، ويذهب صاحب « معجم المؤلفين[2] » إلى أن وفاته كانت فى شهر رمضان ، وكلها متفقة على أنه مات فجأة ، وفى خبر وفاته يقول قاضى القضاة تَقِيُّ الدين السُّبْكِى[3] : « حكى لى شرف الدين الدِّمياطى أن الصغانى كان معه ولد ، وكان قد حُكِم فيه بموته[4] فى وقت ، وكان يترقَّبُ ذلك الوقت ، فحضر ذلك اليوم ، وهو مُعافًى قائم ليس به عِلَّة ، فعمل لأصحابه وتلاميذه طَعَامًا شُكرًا لله ، وفارقناه وعَدَّيْتُ الشَطَّ ، فلقينى من أَخْبَرَنِى بموته ، فقلتُ له : السَّاعةَ فارَقْتُه ! فقال : والساعةَ وقعَ به الحِمام فَجْأَةً . وقالوا : إن أصحابَ الوزيرِ مُؤَيِّدِ الدينِ ابن العَلْقَمِىِّ تولوا تجهيزه ودفنه فى داره بالحَرِيم الطاهرىّ فى الجانب الغربى ، وأَنَّ جُثْمانه حمِلَ بعد ذلك إلى مكة المكرمة فدفن بها إلى جوار الفضيل[5] بن عياض ، وكان قد أوصى بذلك وجعل لمن يقوم به خمسين دينارًا .

---

(١) من العجيب أن الصغانى لم يذكر اسم « لاهور » فى معجميه التكملة والعباب ، لا فى مادة «لهر» ولا فى « لهور » ولا فى «لوهر» وقد استدرك صاحب التاج على القاموس فأوردها قبل « مأر » هكذا : لهور – كجعفر – ويقال : لاهور – كساجور – ويقال : لهاور –: مدينة عظيمة بالهند بها ولد الصغانى صاحب العباب .

(٢) معجم المؤلفين ٣/ ٢٧٩ واعتمد فيما ذهب إليه على « الحوادث الجامعة لابن الفوطى ، وعلى كشف الظنون لحاجى خليفة .

(٣) تقى الدين السبكى ، على بن عبد الكافى بن على (ت ٧٥٦هـ = ١٣٥٥ م) عالم مشارك فى الفقه والتفسير والحديث والأدب والمنطق والفلسفة ، ولد بسبك من أعمال المنوفية ، وولى قضاء الشام وتوفى بالقاهرة ، له تصانيف كثيرة

(٤) هكذا فى فوات الوفيات ١/٢٦١ نقلا عن السبكى ، والعبارة ركيكة ، ويبدو أن مراده – والله أعلم – ماكان يفعله المنجمون والمشتغلون بحساب النجوم والأوفاق مما يسمونه معرفة الطالع ، يذهب المريض إلى أحدهم فيحسب طالعه ثم يتنبأ له بمثل قوله « هذا المريض يكون عليه القطع إلى أربعين يوما (مثلا) فإن لم يمت فيها فإنه يبرأ باذن الله فهذا معنى قوله « وكان قد حكم فيه بموته .. الخ » كأنه كان يترقب مدة القطع هذه – ولو أننى أجل الصغانى العالم الفقيه المحدث عن تصديق مثل هذه الخرافات .

(٥) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى (١٨٧هـ = ٨٠٣ م) : شيخ الحرم المكى من أكابر العباد الصالحين ، كان ثقة فى الحديث ، أخذ عنه خلق كثير منهم الشافعى ولد فى سمرقند ، ودخل الكوفة ، وسكن مكة وتوفى بها ، أفرد ابن الجوزى ترجمته بالتأليف .

حياته :

الذين كتبوا عن الصغانى يجملون ترجمة حياته فى عبارة موجزة فيذكرون أنه « نشأ بغزنَةَ ، ورَحَلَ فى طلب الحديث والعلم ، فدخل اليمن ، وورد إلى عدن سنة ٦١٠ هـ وحج وجاور بمكة ، وكان بها سنة ٦١٣ هـ ، وقدم بغداد سنة ٦١٥ هـ ، وبعثه الخليفة الناصر رسولاً إلى ملك الهند سنة ٦١٧ هـ ، ورجع منها سنة ٦٢٤ هـ ، وعاد إلى بغداد بعد مدة طويلة ، وأرسله المستنصر بالله إلى ملكة الهند ، ثم رجع إلى بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

سمع بمكة ، وعدن ، والهند ، وبغداد ، وقرأ الناس عليه ، وانتفعوا بعلمه الجمّ[1] » .

ثم يذكرون أيضًا أنه « كان مُدَرِّسَ المدرسة التتشية الحنفية ببغداد[2] » وأن المستنصر جعله شيخًا لرباط المرزبانية[3] ، وأن الوزير ابن العلقمى[4] قَرَّبه إليه ، واختاره لتعليم ولده عِزّ الدين محمد ، وألحقه قاضى القضاة أحمد بن محمود الزَّنْجانى بالمُعَدِّلين[5] .

ويذكر الدكتو محمد إسماعيل النَّدوىّ ما يشبه ذلك ، ولكنه يجعل نشأته بلاهور حيث ولد ، ويقول : « إنه تربى فيها وترعرع ، ودرس إلى أن صار شابًّا[6] ، وسنرى أن ذلك يخالِف ما يرويه الصغانى نفسه فيما نورده بعد قليل ، ويعنينا من مَقال الدكتور الندوى ما يتعلق بسفارة الصغانى بين الخليفة العباسى الناصر وملك الهند ، ثم بين المستنصر وملكة الهند ، فقد أورد ذلك فى شيء من التفصيل فقال : « ودخل الصغانى بغداد سنة ٦١٥ هـ فى أيام

---

(١) انظر : الدكتور حسين محفوظ – مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٣٤ مقال بعنوان « الصغانى »

(٢) يذكر الأستاذ محمد حسن آل ياسين أن المدرسة التتشية كانت فى موضع جامع الوزير الحالى بجوار الطرف الشرقى للجسر المسمى اليوم جسر الشهداء (انظر مقدمة الجزء الأول من العباب ص ٩)

(٣) رباط المرزبانية بناه الخليفة الناصر لأهل التصوف فى قرية المرزبانية على نهر عيسى بالجانب الغربى .

(٤) ابن العلقمى : مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد العلقمى (ت ٦٥٦ هـ) اشتغل فى صباه بالادب فبرع فيه ، ولاه الخليفة المستنصر بالله الوزارة بعد وفاة ابن الناقد ، فكان آخر وزراء الدولة العباسية ، شهد سقوط بغداد فى أيدى التتار ، وولاه هولاكو أمرها بعد قتل الخليفة ، يصفة صاحب الفخرى بالفضل والكرم وتقريب أهل العلم حتى صنف الناس له الكتب . وانظر الفخرى فى الآداب السلطانية /٢٤٦ .

(٥) المعدلون : الذين يزكون الشهود فى مجلس القضاء ، وفى اللسان : « وتعديل الشهود : أن تقول : إنهم عدول ، مأخوذ من قوله تعالى : وأشهدوا ذوى عدل منكم .

(٦) انظر مقاله فى مجلة العربى العدد ١٣٦ فى (ذى الحجة ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م) .

الناصر لدين الله الخليفة العباسى ، فطلبه الخليفة ، وخلع عليه ، وأرسله بالرسالة الشريفة إلى ملك الهند شمس الدين التمشى سنة ٦١٧ هـ ، فبقى بها مدة ، ثم خرج من الهند سنة ٦٢٤ هـ فحج ودخل اليمن ، ثم عاد إلى بغداد ، فلما توفى الناصر [١] أعاده الخليفة المستنصر بالله [٢] سفيراً له فى بلاط السلطان التمشى فى سنة ٦٢٦ هـ . ولقد أمضى الصغانى فى هذه المرة مدة كبيرة فى الهند ، ثم سافر إلى اليمن ، فقضى بها زمنًا يسيرًا ، ثم عاد إلى بغداد ، ثم بعثه الخليفة المستنصر بالله مرة أُخرى سفيرًا له إلى الملكة رَضِيّة بنت التمشى فى سنة ٦٣٤ هـ فمكث عندها ثلاث سنوات ، وتوفيت الملكة ، وتولى الحكم أخوها فى سنة ٦٣٧ هـ فعاد الصغانى إلى بغداد سنة ٦٣٧ هـ » .

وتتفق – أو تكاد – عبارات الذين ترجموا لحياة الصغانى بحيث تلتقى كلها مجملة سيرته على نحو ما أسلفنا ، ذلك لأن بعضهم يأخذ عن بعض ، ولا يبحث عن جديد يضيفه .

ولعلَّ الجديدَ الذى يمكن إضافته إلى ما ورد فى مصادر ترجمته هو ما استخلصه المرحوم الأُستاذ عبد الستار فراج من ثنايا معجم « العباب » للصغانى بعد أن عكف طويلًا على قراءة موادّه مستوعبًا أجزاءه الخمسة عشر ، جامعًا ما يورده الصغانى عن نفسه استطرادًا فى أثناء كلامه ، ومؤرخًا لما يذكره [٣] :

---

(١) الناصر لدين الله (أحمد بن الحسن) الخليفة العباسى بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٥٧٥ هـ ، وبقى إلى أن توفى سنة ٦٢٢ فكانت مدة خلافته نحوا من ٤٧ سنة

(٢) المعروف أنه بعد وفاة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ تولى ابنه الظاهر بأمر الله : محمد بن أحمد ، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وأياما ، وواضح من السياق أن خلافته القصيرة انقضت والصغانى على سفارته لدى ملك الهند ، وكأنه أقره فى عمله .

أما الخليفة المستنصر بالله (المنصور بن محمد بن أحمد) فهو ابن الظاهر ، وقد تولى الخلافة سنة ٦٢٣ هـ ، وبقى إلى أن توفى سنة ٦٤٠ هـ ، وفى عهده استولى التتار على كثير من البلاد حتى كادوا يدخلون بغداد .

(٣) كنت – وأنا أعد لهذه المقدمة – أبديت لأخى المرحوم الأستاذ عبد الستار فراج ملاحظتى على تقارب عبارات الذين ترجموا لحياة الصغانى فأخبرنى – رحمه الله – أنه حصل على مصورة لكتاب العباب – وهو آخر ما ألفه الصغانى – وأنه يديم الرجوع إليه بحكم عمله فى مراجعة تاج العروس (ط . الكويت) . فيجد فى ثنايا هذا الكتاب أشياء يذكرها الصغانى عن نفسه ، ويوردها استطرادا ، وأنه يجمع هذه النصوص التى أمدنى ببعضها لأفيد منها فى التعريف بالصغانى ، وقد هيأ منها بعد ذلك مقالا عنوانه « الصغانى أبو الفضائل رضى الدين » بعث به إلى مجلة معهد المخطوطات العربية فنشر بعد وفاته فى المجلد ٢٦ العدد الأول الذى صدر فى نهاية سنة ١٩٨١ م ولا يسعنى – وأنا اقتبس منه هذه النصوص إلا أن أترحم على الأخ والصديق الأستاذ عبد الستار فراج سائلا المولى سبحانه أن يتغمده برحمته ويجزل له المثوبة جزاء ما قدم للغة العربية وتراثها المجيد .

١ – يقول فى مادة (بيض) من العباب – بعد أن يروى البيت الذى فى قصيدة بشامة النهشلى فى الحماسة ، وهو :

بيضٌ مفارقَنا ، تَغْلِي مراجِلنا نأسو بأموالِنا آثارَ أيدينا

سمعت والدى – ألبسه الله حلل رضوانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه – فى شهور سنة نيف وثمانين وخمسمئة – وأكبر ظَنّى أن ذلك كان بغَزْنة[1] – يقول : « كنت أقرأ فى صباى فى كتاب الحماسة لأبى تمام على شيخى بغَزْنَة ، ففسر لى هذا البيت ، وأوّلَ قوله : « بيضٌ مفارقنا مِتَىْ تأويل « فاستغربت ذلك ، حتى وجدت الكتاب الذى بَيّن فيه هذه الوجوه ببغداد فى حدود سنة أربعين وستمئة ، والحمد لله على نعمه » فهذا النص يفيد أنه كان بغزنةَ ، وعمره لم يتجاوز العاشرة ، وأن أباه أيضا تعلم بغزنة فى صباه ، وكان مُحبًّا للأدب ، ولعله كان من المقيمين فيها ، أو العاملين بها .

٢ – وفى مادة (ل ب خ) : « قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب (أى العباب) : رأيت هذه الشجرة بزبيد سنة خمس وستمئة ، ورأيت ثمرتَها أيضًا ، – والثمرة مثل المشمشة الخضراء ، وأهل زَبيد يطبُخونها مع اللحم » .

٣ – وفى مادة (ك ن س) يقول : « والكنيسة : مرسى من مراسى بحر اليمن مما يلى زَبيد للجائى من مكةَ – حرسها الله – قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب : أرسيت بها سنة خمس وستمئة »

٤ – وفى مادة (ع ن ب ر) يقول : « وقيل للتُّرْس : عَنْبَر ، لأنه يُتَّخذ من جلد سمكة بحرية يقال لها : العَنْبَرُ ، قال الصغانى – مؤلف هذا الكتاب : رأيت أهل جدَّة مُنْصَرفى من الحجاز إلى اليمن سنة ست وستمئة يَحْتذُون أحذيةً من جلد العنبر ، فتكون أقوى وأبقى ، وأمتن وأرصن ما تتخذ منه ، وقد اتَّخَذْت أنا حِذاء من جلده » .

٥ – وفى مادة (ف ر س) يقول : « فَرَسان – مثال غَطَفان – : جزيرة مأهولة من جزائر بحر اليمن ، قال الصغانى – مؤلف هذا الكتاب – : أرسيت بها سنة خمس وستمئة وعندهم مَغاصُ الدُّرِّ » .

---

(١) هذا كلام الصغانى ، وهو ينقض ماذهب إليه الدكتور الندوى فى مقاله المشار إليه آنفا من أن الصغانى «نشأ وتربى بلاهور إلى أن صار شابا » .

٦ – وفى مادة (ك و ز) ذكر كوزى وقال : « قلعة بطبَرِسْتان سامية جدا ، لا يعلوها الطير أبيَنُ من الدُّمْلوَة » .

ثم قال : « والدملوة : قلعة من قلاع اليمن مررت بها مجتازا إلى تَعِزّ من عدن أَبْيَنَ ، وهى تناغى أعنان السماء ، وتماسّ منكبى الجوزاء » ، ولم يذكر تاريخ مُروره بها .

ونتبين من هذه النصوص أنه تنقل فى طلب العلم يتلقاه فى مكة ، ويمليه فى اليمن وعمره بين الخامسة والعشرين إلى الثلاثين .

وينقل المرحوم الأُستاذ عبد الستار فراج عن نسخة من « معالم السنن » للخطابى فى مكتبة فيض الله باستامبول (وهى مصورة فى معهد المخطوطات العربية) عليها إجازة من الصغانى لتلاميذه مؤرخ فيها تلقيه بمكة على شيخه برهان الدِّين أبى الفتوح نصْر بن أبى الفرج بن على الحصْرِى فى شهر ذى الحجة من سنة تسع وست مئة ، وأجاز الصغانى لتلاميذه أن يروووه كما سمعوه بالسند المَذْكُور فيه عشية الخامس والعشرين من صفر سنة عشر وست مئة بمسجد ياسر بن بلال المحمَّدِى بمدينة عدن ، ويوافق ذلك ما أورده ياقوت فى معجم الأُدباء[1] من أن الصغانى « قدم العراق وحج ثم دخل اليمن ونفَق له بها سوق ، وكان وروده عدن سنة ٦١٠ . وكان يُقْرأُ عليه بعدن معالم السُّنَن للخطابى[2] » ثم يقول ياقوت : « وفى سنة ٦١٣ هـ كان بمكة وقد رجع من اليمن ، وهو آخر العهد به[3] » .

وينبغى أن يكون قدومُه العراق غيرَ دُخوله بغداد حتى يمكن التوفيق بين عبارة ياقوت السابقة ، وبين ما ذكره الصغانى فى العباب مادة (قرط) حيث يقول :

وأما قول النبى – صلى الله عليه وسلم – : « ما بعث الله نبيًّا إلَّا رعى الغَنَم ، قالوا : وأنتَ يا رسول الله ؟ قال : وأنا ، كنت أرعاها على قَراريطَ لأهلِ مكَّة » فالمراد بها قراريط الحساب ».

---

(١) معجم الادباء ٩/١٨٩ – ١٩١

(٢) يقول ياقوت : «كان الصغانى معجبا بهذا الكتاب وبكلام مصنفه ، ويقول : إن الخطابى جمع لهذا الكتاب جراميزه ، وقال لأصحابه : احفظوا غريب أبى عبيد القاسم بن سلام، فمن حفظه ملك ألف دينار ، فإنى حفظته فلكتها ، وأشرت على بعض أصحابى بحفظه فحفظه ، فلكها » .

(٣) توفى ياقوت سنة ٦٢٦ هـ .

قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب : قدمت بغداد سنة خمس عشرة وستمئة – وهى أول قدْمة قدمتها – فسألنى بعض المُحدِّثين عن معنى القراريط فى هذا الحديث ، فأجبتُه بما ذكرتُ ، فقال : سمعنا الحافظ الفلانى يقول : إنَّ القراريط اسم جبل أو موضع ، فأنكرتُ ذلك كل الإنكار » .

ويبدو أن الصغانى كان فيما بين سنتى ٦١٥ هـ و ٦٣٧ هـ مشغولًا بأعمال السِّفارة بين ملوك الهند وبين الناصر لدين الله والمستنصر بالله ، ولم يكن يجدُ من الوقت ما يشبع نهَمَه إلى القِراءة والتأليف ، ولكنه – على الرغم من ذلك – استطاع أن يُنْجِز فى هذه الفترة كتابه « التكملة والذيل والصلة » فى ستّة مجلدات ، وكان فراغه من تأْليفه – كما يذكر فى خاتمته – : « صبيحة يوم الجمعة وقت فتح بيت الله الحرام العاشر من صفر سنة خمس وثلاثينَ وستّ مئة » .

ونشعر من كلام الصغانى ، فى غير موضع من العباب ، أنه لو ترك وشأْنه لاختار الإقامة بعيدًا عن بغداد حتى لا يشغله خلفاؤُها بهذه السفارات التى ضاق بها ذَرْعا ، لأنها صرفته عما يحبه من تحصيل العلم ، والعُكوف على التأْليف ، وهو لا يدعنا نفهم ذلك ضِمْنًا من ثنايا كلامه ، بل يُصَرِّحُ به فى مادة (ع ب د) من العُباب فيقول :

« وعَبادان : جزيرة ... وهى مَعْبَدُ العُبّاد ، ومَلْقَى عصا الزُّهّاد ، وفيها مَشاهِدُ تدعو زُوَّارَها بلِسانِ الحال إلى الانْقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن الدنيا الدَّنِيّة ، قال الصغانى – مؤلف هذا الكتاب – : ورَدْتُها سنة أربع وعشرين وستمئة ، فأَردت إلقاءَ الجِرانِ بها ، فلم أُمَكَّنْ من ذلك ، إذْ لم يكن زِمَامُ أَمْرى بيَدى ، فغَلَبَنى البكاءُ والعَويلُ ، وأَرْدَفتُ الأَنينَ بالأَليل ، وأَنشأْتُ أقول :

جرتْ نَفْسِى مع الأَهواءِ دَهْرًا ولا تجْرِى إلى الطاعاتِ جَرْيَهْ
فلمـا جِئْتُ عَبّادانَ أَرْستْ وليسَ وراءَ عَبّادانَ قَرْيَهْ

« ولو تُرِكَ القَطا لَيْلًا لنَامْ »

وحين عادَ المؤلف من الهند – فى سِفارته الأَخيرة – سنة ٦٣٧ هـ ، كان يومئذ فى الستين من عمره – وهى سن التقاعد – إذا ساغ لنا أن نُجْرِىَ عليه مقررات عصرنا – وأَغلبُ الظنِّ

أنه قد استعفى الخليفة المستنصر بالله من عمله ، ليفرُغَ فيما بقى من سنى عمره للقراءةِ والتصنيف . وأنه لزِمَ بغدادَ بعد ذلك مُكبًّا على التحصيل والتأليف النافع ، يعينه على ذلك ما تحفل به مكتبات بغداد يومئذ – وقبل أن يُدَمِّرَها التَّتار[1] – من نفائس الكتب القيمة فى شتى المعارف ، يراجع فيها ما يشاء ، ويقتنى لنفسه منها ما يعده ذخيرة له فى تحبير كتبه ، وتحرير فصولها وأبوابها ، وفى مقدمة معجمه « العُباب الزاخر واللُّباب الفاخر[2] » وكذلك فى خاتمة كتابه « التكملة والذَّيْل والصِّلة[3] » يذكر بعض مصادره فى تأليفهما ، فيُسَمِّى لنا عشراتِ الكتب فى : الحديث وغريبه ، وفى علوم القرآن ، وفى اللُّغة والأدب ، وفى البُلدان والنَّسب ، وعشرات أُخْرى من دَواوين الشُّعَراء والرُّجَّاز وشروحها ، ونَراه يُعَوِّلُ على الأُمَّهاتِ منها فى أبوابها ، وكان يجد للكتاب الواحد عِدَّةَ نُسخ ، يفاضل بينها ، ويعتمد أَجْوَدَها ، وحسبُنا دليلًا على ذلك الأمثلة التالية مما ذكره فى ثنايا مواد العباب :

١ – فى مادة (ص ن غ) قال : « هذا التركيب مهمل فى كتب اللغة التى سميتها فى صدر هـذا الكتاب ، وإنما حملنى على ذكره أنى رأيت ابن العَصَّار[4] السَّلَمِى الرَّقِّى – وخطه فى الصحة والإتقان حجة ، وفى مزال[5] المعضلات ومعاميها ، ومضال[5] المشكلات ومواميها[5] محجة – فى رجز رُؤْبة ، ورأيت فى نُسْخَةٍ مقروءة على ابن دُرَيد من أراجيزه برواية أبى حاتم ، وتاريخ الفراغ من نسخها ذو الحجة سنة سبع وستين ومئتين ... ولم يخطر ببالى الفَحْصُ عن هذا اللفظ إبّان إلْبابى[6] ببلاد الهند ، وأوانَ تَرَدُّدِى إليها ، فإن بها نُسَخاً مُتْقَنَةً لهذا الديوان ، ولسائر دَواوين العرَب » .

---

(١) من المعلوم أن سقوط بغداد فى أيدى التتار ، وماكان من تدمير مكتباتها ، وإغراق كتبها فى دجلة على نحو ما يصفه المؤرخون كان سنة ٦٥٦ هـ .

(٢) سنشير إليه اختصارا بالعباب ، وانظر مقدمة المصنف له فى الجزء الأول من ص ٢٣ – ٣١ بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

(٣) انظر : التكملة والذيل والصلة الجزء الأول – المقدمة ص ٧ ، ٨ .

(٤) هو على بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك السلمى الرقى البغدادى نحوى لغوى توفى سنة ٥٧٦ هـ

(٥) المزال : ما يسبب الزلل ، والمضال : ما يوقع فى الضلال ، والمواى : جمع موماة وهى الصحراء الواسعة على التشبيه .

(٦) الإلباب بالمكان : الإقامة به .

٢ – وقوله أيضاً – فى مقدمة العباب ، حين ذكر صِحاح الجوهرى : – « وقد صحَّحَ نسختَه وحشَّاها منْ قرأ علىّ هذا الكتابَ بالهند والسِّنْد ، واليَمَن والعراقَ ، وقد صَحّحْتُ نسخةً وحشَّيْتُها بخطى بمدينة السّلامِ حماها الله تعالى » .

٣ – فى مادة (ق ف ص) ينقل نصا عن التهذيب للأزهرى ، ثم يقول : « رأيته فى نسخة من التهذيب للأزهرى موقوفة بالمدرسة النظامية ببغداد ، وهى فى غاية الوضوح ضبطا وشكلا » .

٤ – فى مادة (ش و ش) يذكر الهَيْثَم بن كليب بن شُرَيح الشاشى « فيقول : صاحب المسند الكبير ، مسنده عندى ، وهو سماعى ، ولم أجد ببغداد نسخة سوى ما عندى » .

٥ – وفى مادة (ع ط ر س) يذكر ما ينشده اللغويون من قول الخنساء[1] .

* إذا يُخالِفُ طُهْرَ البِيضِ عُطْرُوسُ *

ثم يقول : « لم أجد للخَنْساء قصيدةً ولا قِطْعَةً على قافية السين المضْمُومة من بحرِ البسيط ، مع كثرة ما طالَعْتُ من نُسَخ ديوان شعرها » .

وإذا كانت هذه النصوص – ونحوها كثير – يستوقف القارىء فى ثنايا كتب الصغانى تدلنا على كثرة ما كانت تحفل به مكتبات بغداد فى هذا العهد من نفائس تراثنا العربى ، وتدلنا أيضا على ما كان يقتنيه الصغانى من روائع هذا التراث ، فإن لها دلالة أخرى على دقته وأمانته ، وحسن اختياره لمصادر تأليفه ، فهو ينتقى أوثق النسخ من كتب عظماء المؤلفين الأوائل . أصحاب السبق والرِّيادة ممن نَعُدُّ مؤلفاتهم أمّهاتٍ فى فُنونها ، ويفخر بأن هذه النسخة أو تلك قرئت على فلان ، أو عليها خط فلان من العلماء المشاهير ؛ ليزيدنا ثقة فيها ، واطمئناناً إليها[2] .

ونلاحظ أن الصغانى فى تلك السنوات التى لزم فيها بغداد عاكفاً على التأليف ، كان كلما تَقدمت به السنُّ يشتدُّ حنينُه إلى مكة ، ويهفو إليها قلبه ، فَيَضْرَعُ إلى الله أن يُعيدَه إليها ، ولا يفْتأُ يصفُ نفسه « بالمُلْتَجِىء إلى حرم الله تعالى » ويعد نفسه مُحْصَراً عنه ، ممنوعاً من

---

(١) وانظر أيضا (عطرس) فى التكملة والتاج .

(٢) مثال ذلك ماورد فى ص ٤٤ حيث ذكر التوقة – بكسر التاء وفتح الواو ، وفسرها بالتوانى ، ثم قال : « كذا وجدته محققا فى نسخة قرئت على ابن دريد ، وعليها خطه ، وعلى السيرافى ، وعليها خطه ، وكنت أعرف هذا اللفظ التوفة : يعنى بفتح التاء وسكون الواو وبالفاء .

الوصول إليه ، ويرجو أن يتحقق أمله فى أن يَسْعَدَ بجوارِ بيت الله الحرام فيما بقى من حياته ، وأن يكونَ ثرى مكةَ المكرمة مثْوى رُفاته ، ويحرص على تكرار هذه الأُمنية مع تواريخ الفراغ من تأْليف أجزاء العُباب وأبوابه ، وإليك بعضها - وهى نماذجُ من أسلوبه .

١ - فى المجلد الرابع الذى يبدأ بمادة (ص ب ر) وينتهى بمادة (س ى س) يقول : « تأْليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى » ويقول فى آخره : « فرغ من تحريره يوم الخميس السابع عشر من الشهر المبارك ذى القعدة من شهور سنة ثمان وأربعين وست مئة » .

٢ - وفى آخر حرف الطاء يقول : « تأْليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى ... صنفه وهو مُحْصَرٌ عن الإلمام ببيت الله الحرام ، وتَعْظيم المشاعر العظام ، وهو يسأَل الله فَكَّهُ وإطلاقَه ، وتيسيره إندفاعه وإنطلاقة » .

٣ - ونجده أشدّ مايكون شوقاً وحنيناً إلى مكة ، حين يقبل موسم الحج ، فيتجه بقلبه إلى ربه ، ضارعاً بمثل قوله « فى آخر المجلد الرابع وهو بخطه - : « على يدى مؤلفهِ الملتجىء إلى حرم الله تعالى ... بلَّغهُ اللهُ قواصِى مباغية ، وهى إعادته إلى حرمه ، وملَّكَهُ نواصِىَ مايُناغيه وهى أن يَقْبُرَهُ هنالِكَ بكَرمِهِ ، يوم السبت الثالث عشر من ذى القعدة من شهور سنة تسع وأربعين وست مئة » .

٤ - فإذا فاتهُ مانمى ، وانْقضَى موسم الحج ، عاوده الأَمل فى قابل ، وعاد من جديد إلى تضرعه ودعائه ، كما يقول - فى آخر المجلد الخامس عشر - : على يدى مؤلفه الملتجىء إلى حرم الله تعالى .... طوّل اللهُ حبل أمله ، قبل أن يَطْوِىَ حبل أَجله ، ضحوة يوم السبت لست ليال بقين من شهر الله المحرم سنة خمسين وست مئة » .

٥ - ونكاد نسمع نَبرة الأَسى واليأْس فى عبارته فى آخر حرف الظاء : « تأْليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى ، الحسَن بن محمدبن الحسن الصغانى ، ألفه وهومنوع من العوْدِ إلى أَشرف البِقاع ، ودُموعُه هامعةٌ دائمة التّهماع[1] ، وهو يجْأَر إلى الله تعالى فى تجليته عنه هذا الغبار

---

(١) التهماع : مصدر همعت العين : إذا أسالت الدمع .

ونعْشه من هذا العِثار ، فقد نيّف على السّبْعين بثلاث سنين[1] ، ولم يحْل بصاف مُعين ، ولا مُضافٍ معين » .

ولنا أن نتساءل : ما الذى حالَ بين الصّغانى وبين ما تَمنّى ؟

حين نرجع إلى وقائع التاريخ نجدُ أن العالَم الإسلامى – ولا سيما العراق وما حوله – كان فى هذه الفترة يموجُ باضطرابات شديدة ، افتقد الناسُ معها أمن الطريق ، واستقرار الأحوال ، بسبب غارات التتار والفرنج .

وهذا ابن كثير يقول – فى حوادث سنة ٦٢٨ هـ[2] – : « وحجَّ الناسُ فى هذه السنة من الشام ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضاً ، لكثرة الحروب ، والخوف من التّتار والفرنج » .

فلاعجب أن تكون مكة – والحالة هذه – ملاذ الصغانى الذى تطمح إليه نفسه ، ولم لا يسعد بجوار البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ؟ .

ثم يقول ابن[3] كثير بعد ذلك : – « ثم دَخَلتْ سنةُ خمسين وست مئة هجرية ، وفيها حجَّ الناس من بغداد ، وكان لهم عشر سنين لم يحجوا منذ زمن المستنصر[4] » وفى هذه السنة نفسها كانت وفاة الصغانى ، وهكذا كان قدره ألاّ يرجعَ إلى مكة إلا جسدًا محمولا مع الحجيج فى هذه السنة ليدفن بها كما أوصى من قبل .

حياة مباركة طيبة :

والمتأمل فى حياة الصغانى يسترعى نَظره – بصفة خاصة – كثرةُ رِحْلاته ، وعدد البلاد الإسلامية التى تنقل بينها على سعة العالم الإسلامى المترامى الأطراف فى عهده ، فنجد بين هذه البلاد : الهند ، والسند ، ولاهور (عاصمة باكستان الآن) وغَزْنة (إحدى مدن أفغانستان اليوم) وعبادان (وهى من مدن إيران المعروفة) وكانت العربية هى اللغة السائدة فى أرجاء هذه البلاد حينئذ ، كما تتردد فى ثنايا هذه الرحلات أسماء : مكة ، وجدة ، وبغداد ، وتعز ، وزبيد ،

---

(١) أسلفنا أن الصغانى ولد سنة ٥٧٧ فيكون بلوغه الثالثة والسبعين فى سنة ٦٥٠ – وهى السنة التى توفى فيها – ويكون تاريخ هذه العبارة – كسابقتها قبل وفاته بنحو ستة أشهر – وهذا إذا كان يعنى تمام الثالثة والسبعين .

(٢) البداية والنهاية ١٢٩/١٢ .

(٣) البداية والنهاية ١٨٢/١٣ (حوادث سنة ٦٥٠ هـ)

(٤) توفى المستنصر سنة ٦٤٠ هـ

وعَدَن ، وغيرها ، ونعجب كيف استطاع الصغانى أن يتركَ كلَّ هذا التراث الضخم من الكتب القيِّمة فى مختلف العلوم والمعارف على الرغم من هذه الرحلات الكثيرة ، وما يتجشمه الإنسان فيها من مشقـــات فى مثل ذلك الزمن ، ويزداد عجبنـــا حين نضيف إلى ذلك تبعاته الأُخرى فى خدمة الخلفاء العباسيين ، ولا شكَّ أن ذلك يشهد له بغزارة العلم ، والقدرة الفائقة على التأْليف ، وحسبه شاهدًا على عظمته أنه استطاع فى ثلاث السَّنوات الأَخيرة من حياته – وقد تقدمت به السن – أن يُصنِّف أكثر معجمه الكبير المسمى « العباب الزاخر ، واللباب الفاخر » حيث ألف فى هذه الفترة الأَبواب من : « الراء » إلى « الميم » وشملت على وجه الدقة المواد من (ص ب ر) إلى (بك م) التى انتهى إليها فى تأْليفه ، وحالت منيته دونَ تمامه .

صلته بالوزير « ابن العلقمى » :

لاشك فى أنَّ الوزير مُؤَيِّد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن العَلْقَميّ (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) كان يرعى الصغانى ويُعْنى بشُئونه فى هذه الفترة ، وكان لتقريبه إياه ، وبره به ، أثر كبير فى تفرغ الصغانى وعكوفه على التأْليف ، ويحدثنا بذلك المؤَلف فى مقدمته للعباب فيذكر ما أفاضه ابنُ العلقمى على حفَدة الأَدبِ من سجال مواهبه وما خَصَّهُ به – دونَهم – من عناية وحفاوة ، أطلقت لسانهَ بشكره ، والثناء عليه وجعلته يصنّف كتابه داك برسمه ، ويزينه باسمه ، ويقول معترفاً بفضله : « نَفَّق بضاعتى من العلم بعد أن كانت كاسدة ، وأصلح بحسن نظره لى طوبَةَ الدهر وكنتُ أعهدُها فاسدة ، وشرفنى بمطالعة مصنفاتى وارتضاء مؤَلفاتى ، ولقد أسفتُ على كل ساعة قضيتها فى غير ظله ، وكل كَلِمٍ عرضتُها على غير فضله ... ولم أزل أفكر فيما يُخلِّدُ لى مزية الانتماء إلى مكرم جنابه ، ويجعل لوجودى خلفاً يقوم فى الخدمة بإحسان منابه ، إلى أنْ أوعز إلىّ بأَن أُؤلف كتاباً فى لغة العرب يكون – إن شاء الله تعالى بيمن نَقِيبَتِه – وفق الأَرب ، جامعاً شتاتَها وشَوارِدها ، حاوياً مشاهير لُغَاتها وأوابدها ... »[1] إلى آخر ما أورده فى المقدمة مما يدلُّ على عظيم امتنان الصغانى واعترافه بفضل ابن العلقمى عليه ، وحسبه مأْثرةً أن كان هذا – العباب الزاخر – ثمرةً لتلك الرعاية .

---

(١) انظر مقدمة الصغانى فى العباب ج ١/٣١ – ٣٣ – ط . بغداد .

شيوخ الصغانى :

تهدينا مصادر ترجمة الصغانى إلى أسماء بعض الذين أخذ عنهم ، أو قرأ عليهم ، أو سمع منهم ، فى رحلاته الكثيرة ، كما يخبرنا الصّغانى نفسه ببعض هؤلاء – عرضاً – فى ثنايا كتبه ، وأوّلُ من نلقاه من هؤلاء هو :

١ – والد الصغانى[١] : أبو السعادات محمد بن أبى الفضل الحسن بن حيدر بن على بن إسماعيل ، القرشى ، سمع منه بغزنة فى شهور سنة نيف وثمانين وخمس مئة ، وهو يومئذ فى العاشرة من عمره[٢] .

٢ – برهانُ الدين أبو الفتوح نصر بن أبى الفرج بن على الحُصْرىّ ، قرأ عليه « معالم السنن » للخطّابى بمكة فى شهر ذى الحجة سنة تسع وست مئة[٣] .

ويُشير الصغانى أيضاً فى العباب (رب ض) إلى أنه قرأ عليه بعد ذلك بمكة فى الحرم الشريف ، قبالَةَ الكعبة المعظّمة ، فى شهر رجب من شهور سنة ثلاث عشرة وست مئة .

ويخبرنا الزَّبيدىّ فى التاج (ح ص ر) إلى أن ابن الحُصْرىّ هذا « حدث عن النقيب أبى طالب العَلَوى ، وأبى زُرْعة المقدسى ، وانتقل إلى مكة ، وولى إمامة المقام بها ، ثم رَحَل عنها إلى « المَهْجَم[٤] » باليمن لنشر العلم ، وبها توفى ، وقبره يزار ، ويعرفُ بالشيخ بُرْهان ».

ويلقبه ابن كثير[٥] بإمام الحَنابلة بمكة ، ويذكرُ أن وفاته كانت فى سنة ٦١٩ هـ .

---

(١) انظر ص ٣١ وما بعدها من (الصغانى : دراسة أفكاره وآثاره اللغوية) للدكتور عيد محمد الطيب رسالة دكتوراه من كلية اللغة العربية .

(٢) انظر الإشارة إلى ذلك فيما سبق ص ٧ من هذه المقدمة ، والعباب والتاج (ب ى ض)

(٣) ذكر الصغانى ذلك فى إجازة لتلاميذه بخطه على نسخة من«معالم السنن» ، تقدمت الإشارة إليها وهى فى معهد المخطوطات العربية ، مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة فيض الله باستانبول .

(٤) المهجم : بلد ، وولاية من أعمال زبيد باليمن بينها وبين زبيد ثلاثة أيام (نحو ٩٠ كم) .

(٥) البداية والنهاية ج ١٢ حوادث سنة ٦١٩ .

٣ ـ سعيد بن محمد الرَّزاز ، كان مدرساً فى النظامية ، سمع منه ببغداد[1] »

ويعد بعضُ الباحثين[2] فى شيوخه أيضاً :

القاضى سعد الدين خلف بن محمد الحسناباذى ، والنَّظام محمد بن الحسن المرْغينانى ، ولم أقف لهما على ترجمة أتبين منها أين ، ومتى تَلْمَذ الصغانى لهما ، وماذا أخذ عنهما .

تلاميذه :

أشرنا ـ فيما سبق ـ إلى كثرة رحلات الصغانى ، وما تردد فى ثنايا مؤَلفاته من أسماءِ البلاد والمُدُن التى زارها ، أو أقام بها ، وحيثما نزل فقد كان يلتقى به طُلَّابُ العلم ، فيأْخذونَ عنه ، ويسمعونَ منه ، كان هذا شأنُه حتى فى أثناءِ سفارَته لدى ملوك الهند ، يَقُول فى مقدمة «العُباب» بعد أن أورد أمثلة مما أخذه على الجوهرى فى الصحاح ـ : « وقد نَبَّهْتُ عليها كُلِّها فى كتابىَّ : التكملة ، ومجمع البحرين ، وقد صَحَّح نسخته وحَشَّاها مَنْ قرأ علىّ هذا الكتاب (يعنى الصِّحاح) بالهند ، والسند ، واليمن ، والعراق[3] . » وهذا يَدُلّنا على كثرة تلاميذِه وانْتِشارهم فى الآفاق ، غير أنَّ الذين ترجموا لحياته يَخُصُّون بالذِّكرِ من بين هؤُلاء :

١ ـ أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد ، جمال الدين الملقب بالطَّاووس (٦٧٣ هـ) وكان فقيهاً أُصولياً مشاركاً فى أنواع من العلوم .

٢ ـ سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر المَقْدِسى ، تقى الدين بن قُدامة الحَنْبلى (٧١٥ هـ) وكان فقيهاً عالماً بالفرائض والحساب ، مشاركاً فى علوم العربية .

٣ ـ عبد المؤْمن بن خلف بن أبى الحسَن بن شَرف ، الحافِظُ الدِّمْياطىّ (٧٠٥ هـ) وهو أشهر تلاميذه ، كان فقيهاً أُصولياً ، محدثاً حافظاً مقرئاً عالماً باللغة والنحو ، لزمه ببغداد ، وحضر جنازَتَه ، وروى كتبه ، وخطُّه على كثيرٍ مما بَقِى منها .

٤ ـ محمد بن الحسن بن موسى بن جعفر بن طاووس الحِلِّى (٦٥٦ هـ) .

---

(١) عن تاج العروس (رزز)

(٢) انظر « الصغانى » : مقال : د . حسين على محفوظ (مجلة مجمع اللغة العربية) الجزء ٣٤ .

(٣) العباب ، الجزء الأول ص ٣١ (المقدمة) .

٥ ـ عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الفوطى ، المَقْتُول فى دخول التتار بغداد سنة ٦٥٦ هـ . قرأ عليه الأدب .

٦ ـ الوزير عز الدين محمد بن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى ، اختار والده الصغانى ليؤدبه ، فأقرأه أكثر دواوين العرب ، ولما مات الصغانى رثاه تلميذه عز الدين بقصيدة طويلة منها :

ليبك عليه العلم إن عاش بعده ... وتندب ـ إن تبق ـ النهى والمعارفُ
بكاك كتابٌ لم تتم فصوله[1] ... ودون أمانى الرجال صوارفُ
كذا «مجمع البحرين» فرق شمله ... وغاص اكتئابا موجه المتقاذفُ
فحالُ بنى الآداب بعدك حائلٌ ... وبال بنى الآداب بعدك كاسفُ

٧ ـ ابنه : أبو البركات محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن... الصغانى قرأ عليه العباب.

وروى عنه بالإجازة كثيرون منهم :

ـ عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر (٦٩٣ هـ) أجاز له ـ وهو طفل ـ جميع مسموعاته ومؤلفاته ، فى إجازته لوالده جمال الدين أحمد بن موسى الطاووس[2] .

ـ الحسن بن يوسف بن على بن المُطَهّر ، العَلّامة جمالُ الدين الحِلّى (٧٢٦ هـ) «روى بالإجازة كتابَ « التكملة والذيل والصِّلَة » وإليه ينتهى سندُ الفيْرُوزابادى (صاحب القاموس المحيط) فى رواية هذا الكتاب ، ولا ريب أنه أجازه له فى طُفولته[3] » .

ـ صالح بن عبد الله بن جعفر بن على بن صالح الأسدى ، المعروف بابن الصبّاغ النحوى المولود بالكوفة سنة ٦٣٩ هـ ، روى عنه بالاجازة سنة ٦٥٠ هـ .

---

(١) يعنى بالكتاب الذى لم يتم فصوله معجمه الكبير «العباب» فقد بلغ فى تأليفه مادة (ب ك م) .

(٢) نص إجازة الصغانى لهما ـ كما فى روضات الجنات (٣/٩٥) ـ «قد أجزت لفخر السادة ، ولولده جوهر السعادة جميع مسموعاتى ، ومؤلفاتى ، ومنشآتى . كتب الصغانى» .

(٣) الصغانى (مقال للدكتور حسين على محفوظ) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٤ ص ٨٨

مؤلفاته :

ألف الصغانى فى فنون شتى ، وتذكر مصادرُ ترجمته من مؤلفاته أكثر من خمسين كتاباً مُوَزَّعة بين مجالين كبيرين : لغوى ، ودينى .

فأما المجال اللغوى :

فله فيه طائفة من الكتب الهامة ، نذكر منها :

١ – التكملة والذيل والصلة ، عنى فيه باستدراك ما أهمله الجوْهَرى فى الصحاح من مواد اللغة مما هو صحيح على شَرْطه ، وبتكملة مافاته من المعانى والدلالات الثابتة بشواهدها ، وبتصحيح ما أورده الجوهرى من شواهد أخطأ فى إنشادها ، أو غفل عن نسبتها ، أو نسبها إلى غير قائلها ، وقد تعقبه فى كل ذلك بحِذْق ويَقَظة ، حتى جمَع من المادة اللغوية ما أرْبَى على الصحاح نفسه ، ومع ذلك يقول فى مقدمته : « وأنا لا أدّعى استيفاءَ ما أهمله الجَوهرى ، واستيعاب ما أغفله » وقد عُنِيَ المجمعُ بهذا الكتاب القيِّم ، فنَشره محققاً فى ستة أجزاء[1] .

٢ – مجمع البحرين ، وقد جمع بين التكملة وصحاح الجوهرى ، وهو مخطوط لم يُطْبَعْ بعد .

٣ – العباب الزاخر واللباب الفاخر ، وقد ألفه للوزير مؤيد الدين بن العلقمى ، وبين منهجه فى مقدمته بقوله : « جمعتُ فيه ما تَفَرق فى كتب اللغة المشهورة ، والتصانيف المعتبرة المذكورة ، وما بلغنى مما جمعه علماءُ هذا الشأْن والقدماء ، الذين شافهوا العَربَ العَرْباءَ . ومَنْ بعدَهُم ممن أدركَ زمانَهُمْ ، ولحق أوانَهُمْ ، آتياً على عامّة ما نَطَقَتْ به العرب ، خلا ما ذهبَ منها بذهاب أهلها ، من المستعمل الحاضر ، والشارد النادر ، مستشهداً على صحة ذلك بباى الكتاب العزيز الذى « لايأْتيه الباطلُ من بَيْنِ يَدَيْه ولا منْ خَلفه » . وبغرائب أحاديثِ منْ هو بمَعْزل من خطَل القولِ وخُلْفِه ... وبالفصيح من الأشعار ، والسائر من الأمثال[2] .

---

(١) صدر الجزء الأول سنة ١٩٧٠م ، والجزء السادس سنة ١٩٧٩م ، وحقق الجزآن : الأول والرابع الأستاذ عبد العليم الطحاوى وراجعهما الأستاذ عبد الحميد حسن ، وحقق الجزآن : الثانى والخامس الأستاذ إبراهيم الإبيارى ، وراجعهما الأستاذ محمد خلف الله ، وحقق الجزآن : الثالث والسادس الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وراجعهما الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام .

(٢) العباب الجزء الأول ص ٢١ مقدمة المؤلف ، وقد عنى بتحقيقه الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ووعد بنشره بادئاً بما وجده مكتوبا بخط المؤلف ومتبعه ما كان منقولا من أصل المؤلف وعليه خطه ، ثم ما كتب بأقلام الناسخين الجهلاء؟ .

ويُظَنُّ أن نسخته الكاملة تقع فى تسعة عشر مجلدا ، وضعَه على نَسَقِ الصحاح فى الباب والفصل ، وبلغ فيه مادة (بكم) من باب الميم .

٤ ـ الأَضداد فى اللغة ، وقد حققه هفنر ، ونشره اليسوعيون فى بيروت ١٩٠٣ م مع أَضداد الأَصمعى ، والسجستانى ، وابن السكيت فى كتاب واحد .

٥ ـ الشوارد « أَو ماتفرد به بعضهم من أَئمة اللغة » وهو هذا الكتاب الذى نُقَدِّمُ له ، وسنَخُصُّه بكلمة فيما بعد .

ومن مصنفاته فى مجال اللغة أَيضاً عدةُ رسائلَ أَلفها فى أَسماءِ بعض الأَشياءِ ، وأُخرى فيما جاءَ على أَوزان معينة .

فمن النوع الأول :

١ ـ « أَسما الغادة فى أَسماءِ العادة » نشر فى مجلة « المورِد » العراقية ، بتحقيق الأُستاذ أَحمد خان .

٢ ـ « أَسماءُ الأَسد وكناه » منه نسخة بمكتبة الأَزهر ، ونسختان بالخزانة التيمورية .

٣ ـ « أَسماءُ الذِّئب وكُناه » منه نسخة بمكتبة الأَزهر ، ونسختان بالتيمورية .

٤ ـ أَسماءُ الخمر .

٥ ـ أَسماءُ الحية .

٦ ـ أَسماءُ الرياح .

وهذه الرسائل الثلاث ضمن مجموعة بمكتبة السليمانية (شهيد على) بتركيا ، محفوظة تحت رقم ٢٩١٧

٧ ـ خلق الإنسان ، نقل عنه السيوطى فى المزهر[١] ، وتوجد نسخة منه فى مكتبة «داماد زاده » بتركيا[٢] .

---

(١) المزهر ١/١٨١ (ط صبيح) .

(٢) انظر : الصغانى دراسة أفكاره وآثاره اللغوية ـ الباب الأول ص ٥٦ .

ومن النوع الثانى :

وأَعنى به رسائله التى وضعها فيما جاءَ من اللُّغة على أَوزانٍ معينة ، وهى كثيرة منها :

١ – نُقْعَة الصَّدْيان فيما جاءَ على وزن فَعْلان ، منه نسخة بدارِ الكتب المصرية تحت رقم ٤١١ (لغة) وأُخرى فى مجموعة مكتبة (شهيد على) .

٢ – كتاب انفَعَلَ ، وفى دار الكتب المصرية نسخة منه تحت رقم ٤١٤ لغة ،وأُخرى بمجموعة (شهيد على) ويرد أَحياناً فى بعض مصادر ترجمة الصغانى باسم : « كتاب الانفعال[١] » .

٣ – كتاب فَعال : جمع فيه ما بَنَتْهُ العرب على لفظ فعالِ – كحذامِ وقَطَامِ – مرتباً على حُروف المعجم ، وقد نقل عنه السيوطى فى المُزْهر[٢] ، وتوجد منه نسخة فى مجموعة (شهيد على) وقد حققه الدكتور عزة حسن[٣] .

٤ – كتاب « يفعول » وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤١٢ لغة) وأُخرى فى مجموعة (شهيد على) وقد حققه الأُستاذ حسن حسنى عبد الوهاب[٤] .

وله فى هذا المجال أَيضاً :

كتاب التراكيب[٥] فى النحو ، وكتاب التصريف[٦] فى الصرف ، وكتاب فى العروض[٧] و « كتاب فى شرح أَبيات المُفصّل[٨] » .

وهذه المؤَلفات وردت فى مصادر ترجمته ، وبعضُها أَشار إليه فى كتبه ، وهى فيما يُعدُّ مفقودا من مؤَلفاته .

---

(١) نشر فى دمشق سنة ١٣٨٣ هـ

(٢) المزهر ٢/٨٧

(٣) نشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٨ م .

(٤) نشره فى تونس سنة ١٩٢٦ م .

(٥) الجواهر المضية .

(٦) معجم الأدباء ٩/١٨٩ ومفتاح السعادة ١/١٩٣

(٧) الجواهر المضية .

(٨) أشار إليه فى العباب (شجع) .

وأما المجال الدينى :

فأكثره فى الحديث ، وأهم مؤلفاته فيه :

١ ـ مصباحُ الدُّجى من صِحاح حديث المصطفى[١] ، وهو كتاب فى الحديث مَحْذُوف الأسانيد .

٢ ـ الشمسُ المنيرة من الصِّحاح المأثورة[٢] .

٣ ـ مشارقُ الأنوار النبويّة ، من صِحاح الأخبار المصطفوية ، وقد أشار فى مقدمته إلى أنه جمع فيه بين كتابيه السابقين : مصباح الدجى والشمس المنيرة ، ورتّبه على المسانيد ، فيذكر مثلا مسند أبى بكر ، ومسند عمر ، ومسند ابن عباس ، ومسند أبى هريرة وهكذا ...

وقد حظى هذا الكتاب بعناية العُلماء ، فشرحه عزُّ الدين عبد اللّطيف بن عبد العزيز المعْروف بابن ملك (٨٠١ هـ) فى كتاب سماه « مَبارق الأزهار فى شرح مشارق الأنوار »[٣] ولمحمد بن مصطفى القوجوى المعروف بشيخ زاده (٩٥٠ هـ) حاشية على مشارق الأنوار للصغانى[٤] .

٤ ـ شرح البخارى فى مجلد ذكره صاحب الجواهر المضية وغيره ، وهو من كتبه المفقودة .

٥ ـ كشف الحِجاب عن أحاديثِ الشِّهاب .

٦ ـ ضوءُ الشِّهاب .

٧ ـ « الدُّرُّ المُلْتَقَط ، فى تبيين الغلَط ، ونَفى اللَّغط »[٥] .

وهذه الكتب الثلاثة أشبه بالرسائل ، وكلها تدورُ حول كتاب « شهاب الأخبار فى الحكم والأمثال والآداب الشرعية » الذى ألفه القُضاعى محمد بن سلامة بن جعفر سنة (٤٥٤ هـ) وفيها ينقده الصغانى مَتنا وسَنداً .

(١ ، ٢) الجواهر المضية ١/٢٠٢ وكشف الظنون ١٦٨٨

(٣) طبع فى استانبول سنة ١٣٢٩

(٤) انظر كشف الظنون ١/١٨٨

(٥) منه نسختان بالمكتبة التيمورية إحداهما تحت رقم (١٧٢ مجاميع تيمور) والأخرى تحت رقم (٣٧٦ حديث تيمور) .

٨ – « رسالة فى الموضوعات » أو « الأحاديث الموضوعة » وجه عنايته فيها إلى نقد طائفة من الأحاديث ، « وقد دعاه إلى تأليفها ما رآه من جرأة الناس على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكثرتهم فى زمانه وأبان عن الأسباب التى حدت بهم إلى وضع الأحاديث ، وهى : نسج القصص من قبل جهالة الوعاظ والمنحرفين من المتصوفة ، وساعد على انتشارها جهل الناس بالسنن ، أو انحرافهم عن السنن ، مع قلة المدافعين عن نقاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

٩ – كتاب الضعفاء والمتروكين فى رجال الحديث ، ذكره صاحبا الجواهر المضيّة ، وكشف الظنون .

١٠ – رسالة فى (أسامى شيوخ البخارى) .

١١ – درّ السّحابة فى وفيات الصحابة[2] ، ويبدو أنه شرح لكتاب ألفه قبل ذلك وسماه « مختصر الوفيات » .

وله فى هذا المجال تراث تورده بعض مصادر ترجمته ، ونعده فيما نفتقده ، من مؤلفاته ، فمن ذلك :

فى علوم القرآن :

١ – نظم عدد آى القرآن الكريم .

٢ – كتاب فى التجويد .

---

(١) طبعت هذه الرسالة بالمطبعة الفاروقية بمصر وتوجد منها نسخ خطية بالتيمورية تحت أرقام (٥٨ ، ٧٦ ، ١٠٥ مجاميع) وانظر الصغانى دراسة أفكاره / ٦٣

(٢) توجد منه نسخة خطية بدار الكتب فى خزانة (مصطفى فاضل باشا) تحت رقم (٣٨ تاريخ) وعدد أوراقها إحدى وثلاثون ورقة من القطع الصغير ، ويقول الدكتور عيد الطيب إنه أحصى عدد الصحابة بهذا الكتاب فوجده سبع مئة وسبعين صحابيا بأسمائهم وكناهم ، وذكر مواضع وفياتهم وحالة وفاة كل : حربا كانت ، أو وباء ، أو غير ذلك (الصغانى : دراسة لأفكاره وآثاره – ٦٥) .

وفى الفقه :

١ – كتاب فى الفرائض[١] .

٢ – كتاب الأحكام فى فقه الحنفية[٢] .

٣ – كتاب مناسك الحج[٣] ، وسماه حاجى خليفة « مناسك الصغانى » .

وفى التصوف :

١ – كتاب السالكين . ٢ – كتاب الأصفاد . ٣ – درجات العلم والعلماء .

وله بين هذين المجالين – اللغوى والدينى – مشاركة فى الأدب ، فقد عمل تسْميطًا لمَقصُورة ابن دُرَيْد ، سماه القلادة السمطية فى توشيح الدريدية سنورد مثالًا منه فى الحديث عن أدبه ، ثم غلبته صفةُ اللغوى ، فعاد إلى هذا التسميط يشرحه ، ويستشهد على لُغَته ، كما فعل اللغويون قبله بعيُون الأشعارِ ودَواوين الشُّعراء ، وسمّاه شرحَ[٤] القلادة السمطية .

– وتعزيز بيتى الحريرى : فقد أنشد أبو محمد القاسم بن على الحَريرىُّ فى مقامته السادسة والأربعين بيتين زعم أنهما « أسْكَتا كُلَّ ناطق ، وأمِنا أن يُعَزَّزا بثالث » فَتَصَدَّى الصغانى لهذا التَّحَدِّى ، ولم يعززهما بثالث فحسب ، بل بثلاثين بيتا[٥] .

---

(١) ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ، وصاحب الجواهر المضية ، وسماه حاجى خليفة فى كشف الظنون (١٢٥٠) فرائض الصغانى .

(٢) كشف الظنون ١٢٥٠

(٣) كشف الظنون ١٨٣٢ .

(٤) استظهر الدكتور عيد الطيب فى بحثه : « الصغانى دراسة لأفكاره وآثاره اللغوية » أن هذا الشرح اسمه المرتجل معولا فى ذلك على قول الصغانى فى مقدمته : هذا ما ارتجلت فى شرح السمطية التى أنشأتها على ماسمح به الخاطر الموزع».. الخ وأقول : هذا الشرح عندى ، وكنت اشتغلت بتحقيقه منذ عهد بعيد ، وصرفنى عنه مشاركتى فى تحقيق تاج العروس ولم يدع لى تلاحق أجزائه فرصة لإنجازه ونشره ، ثم انصرفت عنه حين عرفت أنه نشر فى بغداد بتحقيق الدكتور سامى العانى والأستاذ هلال ناجى سنة ١٩٧٧ باسم (شرح القلادة السمطية فى توشيح الدريدية) .

(٥) ذكر الأستاذ أحمد خان فى مجلة المورد « المجلد ٩ العدد ٣ سنة ١٩٨٠) أنه حقق تعزيز بيتى الحريرى الصغانى وبعث به ليُنشر فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وبيتا الحريرى المشار اليهما هما قوله :

سِمْ سِمَةً تَحْسُن آثارها واشكر لمن أعطى، ولو سِمْسِمَهْ

والمكر مهما استطعت لا تأْته لتَقْتَنِى السؤددَ والمَكْرُمَهْ

(وانظر مقامات الحريرى / ٥٣١ ط التجارية بالقاهرة) .

– التذكرة الفاخرة ، وهى مَعْدُودة فيما يُفْتَقَدُ من تُراثِه ، ونُرَجِّح أنها اختيارات أدبيّة على مثال : « التَّذْكِرة السَّعْدية » و « التَّذكرة الحَمْدُونيّة » و « التذكرة الصَّفَدية » وغيرها .

– ويذكر ياقوت من تصانيفه فى الأدب « تكملة العزيزى » وهو من كتبه المَفْقُودة ، وأخشى أن يكون من كتبه اللغوية .

ادبـــه :

كان الصغانى فى إجازاته لتلاميذه يَقُول : « قد أجزت لفُلانٍ جميع مَسْمُوعاتى ومُؤَلَّفاتى ، ومُنشَآتى » وهو يعنى بمُنْشآته ما يُبْدعُه من الأدب نَثْره وشعره ، ولا نجدُ من نثرِه إلَّا ما يُنْشئُه بين يدى كُتُبه من مُقدَّمات هى نماذج من نَثر عصره المُمَيَّز بالتَّأنُّق اللفظىّ ، والعناية بالاقْتباس ، والسجع والجِناس ، ونحو ذلك من المُحسّنات اللفظية .

أما شعرُه فلدنيا نماذج منه ، وهو كنَثْرِه ، تلوحُ عليه سماتُ الصَّنْعة كأشباهه من شعر العلماء ، ولا يَبينُ إلَّا عن ثَرْوةٍ لغوية ، وقُدرة على النظم ، وإلمام بألوان البديع ، فمن ذلك :

١ – قصيدة نونية فى تاريخ ثغر عدن ، أنشأها لابن أبى مخرمة ، وأبياتها ٥٩ بيتا .

٢ – تسميط مقصورة ابن دُرَيْد ، وإليك مثالًا منها :

لَا تَغْترِرْ بِكُلِّ خِبٍّ حاسدِ مُمــاكد مُنــاكد مُناقــدِ
ولا تثق بوامق مُحـاقد
(والنَّاسُ ألفٌ منهُم كواحد وواحدٌ كالألْف إنْ أمرٌ عَنَى)

* * *

طوبى لنفسٍ أسلَمت واسْتَسلمت واستغفرَتْ من كلّ ما قد أجْرَمتْ
وانْفقَتْ ما اكتسبَتْ وَسَلَّمَت
(وللفَتَى من مـاله ما قَدَّمَتْ يداهُ قبلَ موته لا ما اقْتنَى)

* * *

ستُنجز المنون كلاًّ وعْـده وتستَفزُّ نحْسَه وَسَـعْدَه

وسوف تُثْوى سَبْطَه وجعْدَه .

(وإنَّمـا المرءُ حَديثٌ بعدَه فكُنْ حديثًا حَسَنًا لمنْ وعَى)

لا تَحْسبنَّ أنَّنى أَرْعَى النَّقَدْ مع الأُسود ، أو إذا الحَرُّ اتَّقَدْ

اختبِطُ الرَّمْضاءَ والرملَ العقد

(إنِّى حلَبْتُ الدهر شَطْرَيْهِ فقدْ أَمرَّ لى حينًا ، وأَحيـانا حَلاَ)

* * *

وقد بَلَوْتُ صرفَه فلم يَجُلْ فى خاطرى من فَشَلٍ ولم تَزُلْ

عنِّى بوادى جَلَدِى ولم تحُلْ

(وفرَّ عن تَجْربَةٍ نابِى فَقُلْ فى بازلٍ راضَ الأُمورَ وامْتطَى)

* * *

٣ – بعض أبيات ترد ضمنا فى ثنايا كتبه ، كقوله فى العُباب فى مادة (عبد)[1] . . « فغلبَنى البكاءُ والعَويل ، وأَرْدَفتُ الأَنين بالأَليل ، وأَنْشَأْتُ أقول :

– جَرَت نفسى مع الأَهواء دَهْرا ولا تجرى إلى الطـاعات جَرْيَهْ

– فلما جئتُ عبّـادانَ أَرست وليس وراءَ عَبّـادان قَريهْ

« ولو تُرك القطال ليْلًا لنام »

والأَبيات التالية التى ختم بها كتابه « مناسك الحج »[2] :

شَوْقى إلى الكعْبَةِ الغرّاءِ قد زادا فاستحْمل القُلُص الوخّادةَ الزَّادا

أَراقَك الحنظَلُ العامِىُّ مُنْتجَعا وغيرُك انتَجَعَ السَّعْدانَ وارْتادَا

---

(١) انظر ما سبق فى ص ١١ من المقدمة

(٢) نقلها ياقوت فى معجم الأدباء ٩/١٩٠

أتعبْتَ سَرْحَكَ حتى آض عن كَثَب نياقُها رُزَّحا والصعبُ مُنْقَادَا

فاقطع عَلائقَ ما تَرْجُوه من نَشَبٍ واسْتودع الله أموالًا وأولادَا

وأنشد له السيوطى فى البغية ـ واصطنع التجنيس فى القافية ـ :

يا راحمَ الطفل الرَّضيع المُزعَجِ يا فاتِح الباب المَنيع المُرْتَجِ

إن كان غيْرِى مُبْلِسًا مُسْتيئسًا فأَنا الفقيرُ المُسْتكينُ المُرْتَجِى (١)

أَوْ كان غيرى آمنا فى سربه فأَنا المُليح المُسْتجيرُ المُرتجِى (٢)

انتاطَت الراحاتُ عنى وانْثنَت يا مَنْ يُقرِّبُ كلَّ ناءٍ مرتجِ (٣)

أنت الذى فيه شفاءُ السُّقْمِ لا قَصب الذريرة أودواءُ المُرْتجِ (٤)

* * *

اسم الكتاب :

النسختان الموجودتان لهٰذا الكتاب ـ وهُما اللَّتان عَوَّلْنا عليهما فى تحقيقه ـ تنقصان صفحة العُنوان ، وجُزءاً من المُقدِّمة ، وكلتاهما تبدأُ بقول المصنف : « قرأ بها » وهى تكملة عُنوان القسمِ الأَول من الكتاب وتمامُه ـ كما ذكره المصنّف بعدُ ـ « القسم الأَول فيما قُرِئَ فى الشواذ من القراءات ، وَعزَوْت كلَّ قراءة إلى من قرأ بها » ثم يسردُ بعدَ ذلك أَقسامَ الكتاب الأُخرى فى ختام مقدمته ، فيقول :

القسم الثانى : فيما تفرَّدَ به أَبو عبد الرحمن يُونس بن حبيب النحوى .

القسم الثالث : فيما تَفَرَّدَ به أَبو حاتم سهل بن محمد السِّجِسْتانى .

القسمُ الرابع : من سائر كتب اللغة ، وشُروح شوارد الأَشعار .

---

(١) بغية الوعاة ١/٥٢٠

(٢) من الرجاء .

(٣) المرتجى هنا : الخائف .

(٤) مر : فعل أمر ، أى مرها تجىء .

(٥) المرتج : تعريب المرتكب ، وهو المرداسنج ، دواء معروف ، ومعناه : الحجر الخبيث ، وانظر المعتمد فى الأدوية / ٣٤٣ .

ثم يورد المصنِّف بعد ذلك أقسام الكتاب مرتبة على النسق الذى جاءت به فى المقدمة .

واتفاق النسختين فى هذه البداية يؤكد لنا أنَّ أحدَهما ـ وهى نسخة دار الكتب ـ منقولةٌ عن النسخة الأُخرى المحفوظة بمكتبة (شهيد على) ضمن مجموعة تضم عشرة كتب للصغانى تحت رقم (٢٧١٩) .

ويظهر هذا الكتاب فى فهارس دار الكتاب المصرية باسم « ما تفرد به بعض أئمة اللغة » ولم نجد هذه التَّسْمية بين مؤلفات الصغانى فى مصادر ترجمته ، وقد استظهر أحد[١] الباحثين أنها من وضع مُفهْرِسى دار الكتب المصرية ، وأنهم عَوَّلُوا فيها على ما وَجَدُوه فى المقدمة من قول المصنف .

القسم الثانى : فيما تفرد به أبو عبد الرحمن يونس . . ، وقوله أيضاً :

القسم الثالث : فيما تَفَرد به أبو حاتم . . . إلخ .

وفى مصادر ترجمة الصغانى يردُ هذا الكتاب أحيانًا بين مؤلفاته باسم « الشوارد[٢] » وأحيانًا باسم « النوادر »[٣] وقد جمع صاحبُ كشف الظنون بين التسميتين فذكره باسم « الشوارد[٤] والنوادر » . . فأوهم أنهما كتابان ، وليسا كتابًا واحدا .

وإذا استثنينا ما فعله صاحب كشف الظنون فإننا نلاحظ أن الذين يَعُدُّون « الشوارد » بين كتب الصغانى لا يَذْكرون النوادر ، والعكس صحيح ، وهذا يَدْعُونا إلى القولِ بأنهما كتاب واحد ، وأن أحدَ الاسمين مُحَرَّفٌ عن الآخر .

ولما كان الذين ذكرُوه باسم « الشوارد » ممن تَرْجَمُوا للصَّغانى أكثر من الذين سموه « النوادر » فإن ذلك يرجح صحة تسميته « الشوارد » .

---

(١) الدكتور عبد الطيب فى بحثه : «الصغانى دراسة لأفكاره وآثاره اللغوية» ص ١٤٥

(٢) جاءت هـذه التسمية فى « تاج التراجم / ٦١ والجواهر المضية ١ / ٢٠٢ وسبحة المرجان / ٢٨ ومفتاح السعادة ١١٣/١

(٣) وجاءت هذه التسمية فى الفوائد البهية / ٦٣ وورضات الجنات / ٢٢٢ ومعارف العوارف /٣١ .

(٤) كشف الظنون ١٠٦٥ ، ١٩٨٠ .

ويمكن أن نضيفَ إلى هذا الترجيح بعض القرائن التى استنبطناها من نسخة الكتاب ، ومن كلام المصنف فى أثنائه ، فمن ذلك :

١ ـ فى النسخة المصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة « شهيد على » ـ وهى نسخة معارضة بأصل المصنف ـ ضبط الناسخ تسلسل كراساتها بذكر ترتيب كل كراسة فى أعلى الورقة الأولى منها ، فى الزاوية اليسرى ، فيكتب « ثانية الشوارد ، ثالثة الشوارد . . . رابعة الشوارد » ، وهكذا حتى آخر الكتاب ، فدل ذلك على صحة تسميته « الشوارد » ، لا « النوادر » .

٢ ـ عَنونَ المُصنِّف للقسم الرابع من كتابه هذا بقوله : « القسم الرابع من سائر كُتُب اللغة ، وشروح شَوارد الأشعار » فظهور كلمة الشوارد فى عنوان هذا القسم ـ وهو يشمل ما يزيد على ثلاثة أرباع الكتاب ـ يدل على أن الشوارد هى مقصود الصَّغانى من تصنيفه ، وأنها التسمية الصحيحة للكتاب .

٣ ـ من النصوص التى أوردها المصنف قولهم[1] : « اجرأَشَّت الإبلُ : سَمِنَت وامتلأَت بطونُها ، فهى مُجرَأَشَّة ، بفتح الهمزة » قال الصَّغانى عقب ذلك : « وإنما أَدْخَل هذه اللفظةَ فى الشوارد انْفتاحُ همزة مجْرأَشَّة ، لا متْنها » .

٤ ـ وقال أيضًا : « ... جمعا[2] الصلفاء للأَرض الغليظة ، والوَحْفاء للأَرض التى فيها حجارة سود وليست بحَرَّة ـ : الصَّلافَى ، والوَحافى ، والشاردتان هما الجمعان لا اللغتان » .

فى هذين النصين ما يجعلنا مطمئنين إلى أن الاسم الصحيح للكتاب هو « الشوارد » وأن وروده عند بعض من ترجموا للصغانى باسم « النوادر » إنما هو تحريف .

ماذا يعنى المصنف بالشوارد ؟

فى المعجم الوسيط (شرد) قال : « شوارد اللغة : غرائبها ونوادرها » وفى المزهر جمع السيوطى بين الحُوشىّ والغرائب والشوارد فى نوع واحد ، وقال : « هذه الألفاظ متقاربة ، وكُلُّها خلاف الفصيح »[3] .

---

(١) انظر ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٣) انظر المزهر ١/١٣٩ ، ١٤٠ (النوع الثالث عشر) .

ويستظهر بعض الباحثين أنَّ الصغانى يعنى بالشارد من الكلام فى هذا الكتاب «الصحيح الوارد عن ثقة ، وإن لم يكن فصيحًا ، لقلة الاستعمال[1] والفصيح المُراد هنا : هو الواسع الانتشار ، الغالب فى الاستعمال ، فهذا هو الْمقْيَاس الذى بَنَوْا عليه قولهم : « قريش أفصح العرب » لأن للغتها الانتشار والسيادة على سائر لهجات القبائل العربية الأُخرى[2] .

أهمية الكتاب ، ومنهج المؤلف فيه :

ترجع أهميَّة الكتاب إلى كونه واحدا من كتب هذا اللون من التأْليف اللغوى الذى حفظ لنا الزمن بعض تراثه بأسماء شتى مثل : النوادر ، أو نوادر اللغة ، أو نوادر الأعراب ، أو اللُّغات أو الغريب ، أو نحو ذلك مما يجمع فيه أصحابه بين لغات شتى ، ومفردات كثيرة يسوقون معها الشواهد على صحتها من كلام فصحاء العرب وأشعارهم ،وإن لم تكن من المعروف السَّائد فى الاستعمال .

وربما جمعوا إلى ذلك ضروبًا من الأساليب والاستعمالات يثبتون صحتها ، أو يَنْفونَ فصاحتها ، أو يُنَبِّهون على خطئها ، من نحو « لا يُقال كذا » أو ليس فى كلامهم كذا ، وكقول المصنف هنا « يقال : لتَهْنِئْكَ العافية ، وليَهْنِئْكَ الفارِس ، بالهمز ، وتخفيف الهمز ، ولا تحذف الياء ، لأن الياءَ بدلٌ من الهمز » ولا شك أنَّ فى ذلك وأمثاله ما يحافظ على سلامة اللغة ، ويعين على الاستعمال الصحيح .

أما منهج الصغانى فيه ، فقد قسمه أربعة أقسام ، التزم فى كل قسم بإيراد ما عنون له به ، فالقسم الأول فى الشواذّ من القراءات معْزوَّةً كُلُّ قراءة إلى من قرأ بها ، وقد جرى فى إيراد مواضع القراءة على ترتيب المصحف ، لم يشذ عن ذلك إلَّا فى مواضع يسيرة منها :

ـ إيراده قراءة (فَلَا رُفوثَ) فى قوله تعالى : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ) ورقمها ١٩٧ من سورة البقرة ، مقدمة على القراءة الشاذة فى الآية : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة) ورقمها ١٩٥ من السورة نفسها ، وكان حق هذه أن تسبق تلك .

---

(١) انظر : الصغانى : دراسة لأفكاره وآثاره اللغوية ١٥٢/١

(٢) انظر : المزهر ١٢٧/١ .

- إيراده قراءة (كمثلِ جَنَّة بربَاوَة » - وهى فى الاية ٢٦٥ من سورة البقرة - مقدمة على قراءة (فَتركهُ صِلْدًا) وهى فى الاية ٢٦٤

- إيراده قراءة (من إعاءِ أَخِيهِ) وهى فى الآية ٧٦ من سورة يوسف مُقَدَّمة على قراءة (ونُمِيرُ أَهْلَنَا) وهى فى الاية ٦٥ من السورة ، وكان العكس هو الصحيح .

وربما جمع بين موضعين متباعديْن فى ترتيب المصحف ، لاتحادهما فى شذوذ القراءة ، أو عزوها إلى من قرأ بها ، كما فعل فى قراءة « عَشاوة » بفتح العين المهملة ، حيث حكى هذه القراءة فى آية البقرة (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ عَشاوة) ثم قال : وكذلك (وَجَعلَ عَلَى بَصَرِه عَشاوَةً) وهذه فى سورة الجاثية ، ومثل ذلك يُقال فى جمعه بين لفظتى « عَتِيًّا » و « صَلِيًّا » لاتّحادهما فى الشذوذ ، وفيمن قرأ بهما ، وبذلك قدم قراءة « صَلِيّا » وآيتها ٧٠ من سورة مريم على القراءة التى حكاها فى (جِئْت شَيْئًا فَرِيًّا) وآيتها ٢٧ من السورة نفسها .

ماذا يعنى الصغانى بالشاذ ؟

يبدو لنا أن الصغانى لا يعنى بالشاذّ ما يعنيه أصحاب القراءات من إطلاقه على ما عدا القراءات السبع ، أو العشر ، كما هو الغالب فى هذا الاصطلاح ، فقد حكى فيما أورده ألفاظًا معزُوَّةً إلى أبى عمرو ، وابن كثير ، وابن عامر ، وغيرهم من السبعة[1] ، كما حكى أيضًا عَنْ يَعْقُوب وهو من العشرة ، وإنما يعنى بالشاذ القليل غير الشائع فى الاستعمال ، أو الخارج عَمّا له صفة الاطِّراد من القواعد المعروفة ، ولا غرو أن يتكلم به الفصحاء ، بل من هم فى أعلى درجات الفَصاحة ، فقد حكى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم : (وَأُولئك هُمْ وقَادُ النَّار) ونسب قراءات أخر لعلى بن أبى طالب ، ولأُبَىّ بن كعب ، ولابنِ مسعود ، وغيرهم من الفصحاء .

وقد عنى الصغانى فيما أورده من الشواذ بتوجيه القراءة دون الاحتجاج لها ، أو الاستشهاد عليها .

---

(١) المزهر ١-١٢٧

(٢) معروف أن القراء السبعة الذين انتشرت قراءتهم عن طريق ابن مجاهد (٣٢٢ هـ) هم : نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، ويصبح هؤلاء عشرة بإضافة قراءة : خلف وأبى جعفر ، ويعقوب ، أما ماعدا قراءة هؤلاء العشرة ، كقراءة ابن مسعود ، وأبىبن كعب ، والحسن البصرى ، وأمثالهم فشاذ ، وانظر فى هذا : مقدمة المحتسب لابن جنى ، ومقدمة القراءات الشاذة لابن خالويه ، ومقدمة القراءات السبعة لابن مجاهد .

أما القسم الثانى : ـ وهو مَا تفرَّدَ به يونُس بن حبيب ـ فقد حكى فيه عنه ثمانى وستين ومئة كلمة لم يذكر لنا مصدرَها من كُتُب يونس ، كما فعل فيما تفرد به أبو حاتم ، ويرجِّح بعضُ الباحثين أنَّها من كتاب « النَّوادر » الذى يَعُدُّه فى كتب يونس مَنْ ترجموا له ، وليس ثمَّة ما يمنع أن يكون الصغانى قد استمدها من كتب يُونُسَ الأُخرى ، فإن له غير النوادر « معانى القرآن » و « اللغات » و « الأمثال » وكلها من التراث المفقود ، ولعل الأشبه أن يقال : إنّها من كتاب اللُّغات له ، فإننا نلاحظ فى هذا القسم الإكثار من قوله : « كذا : لغة فى كذا » كقوله : « مُتى : لغة فى متى فى الاستفهام والشرط دون الظرف . . . وَيَجِنُّ عليه الليل : لغةٌ فى يجُنُّ وأفوَق سهمَه : لغة فى أفاقه ، وأوفقه . يَسْمِت فى الهداية : لغةٌ تميم فى يَسْمُت ، لَعَمَرى بالتَّحْرِيك : لغةٌ فى لَعَمْرِى . . . فلانٌ من سِفِلَةِ الناس : لغةٌ فى السَّفِلَة ، والسِّفْلَة . يَخْطَرُ ببالى : لغة فى يَخْطُر . عَلُنَ الأمرُ : لغة فى عَلَنَ وعَلِنَ » ومثل ذلك كثير ، كما نجد فيما ذكره أمثلة من البَدل والمُعاقبة مثل : أَتَّى وحَتَّى وعَتَّى ، وذَرَا فُوه يَذرُو وذرِىَ يَذْرَى ، وذَرأ يذرَأ .

وأُخرى من القلب المكانى ، مثل : أَمق العين : مأْقها ، وامرأة مُفاضة أى مُفْضاة ، وأفاضها أى أَفْضاها » .

أو حكاية للغات المختلفة فى الصيغة الواحدة كقوله : « كان الأمر ذَيْتِ وذَيْتِ ، وذَيَّة وذية ، وذَيّاء وذَيّاء : لغات فى ذَيْتَ وذَيْتَ » وقوله أيضاً فى قولهم : « رَبَعْتُ القوم ، وسَبَعْتُهم وتَسَعْتُهم : أَرْبِعُهم وأَرْبُعُهم : لغة فى أَرْبَعُهم [1] .. إلخ أو بعض الضوابط لأمثلة من الجميع [2] .

أما القسم الثالث وهو ماتفرد به أبو حاتم السجستانى ، فقد ذكر اسم كتابه الذى اسْتَقَى منه ذلك ، وهو « كتاب تقْويم المُفسَد والمُزال عن جهَتِه من كلام العرب [3] » وجرى فيه

---

(١) انظر ص ٤٠ من هذا الكتاب .

(٢) مثال ذلك قوله ماكان جمع فعيل من المضاعف يقال فيه فعل (بضم الفاء والعين) وفعل (بضم الفاء وفتح العين) انظر ص ٤١

(٣) لم أجد هذا الكتاب بين كتب السجستانى فى مصادر ترجمته ، وأكثرها تذكر له كتاب «ما يلحن فيه العامة» فهل تكون هذه تسمية أخرى لهذا الكتاب؟ هذا ما يرجحه الدكتور عبد العزيز مطر فى كتابه «لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة» ص ٦١ على أن ابن منظور ذكره فى اللسان (أهـل) باسم كتاب « المزال والمفسد » وإيراد الصغانى له بهـذا الاسم بين مصادره التى أخذ عنها هنا وفى مقدمة العباب ، وخاتمة التكملة يجعلنا نرجح أنه كتاب آخر ، وانظر : الصغانى دراسة لأفكاره وآثاره اللغوية ١/١٧٥ .

على طريقته فى القسم الثانى ، فأورد طائفة من اللُّغات ، وأمثلة من البدل والمعاقبة ، كالمَدْه والمدح[1] ، والنقاوة والنقاية والنقاءة ، وشيئاً من وجوه الإعراب ، ومن شاذِّ النسب ، وصيغ الجمع ، وما نَبَّه عليه من خطأ الاستعمال ، كقوله : « لايُقال : كان القومُ نحواً من خمسةَ عَشر ، وإنما يقال : نحواً من عشرة ، أونحوا من عشرين ، أونحواً من مئة ، أونحوا من ألف ، وأما الكسرُ الذى بين العَقْدَيْنِ فلايُقال »[2] .

وقوله : « أَهلُ بَغْدادَ يقولون : لانٌ لم يَفْهَمْنِى ، ولو فَهِمَنِى لم يفعلْ ذلك ، ولايجوزُ ذلك[3] » .

أما القسم الرابع ، وهو من سائر كتب اللغة ، وشُروح شَوارِد الأشعار - وتقدر مادّتُه بأكثر من ثلاثة أرباع الكتاب - فلم ينبه المصنف إلى المصدر الذى استمد منه شَوارد هذا القسم إلّا نادراً ، وقد هَدانا الله إلى معرفة أكثر مصادره فى هذا القسم ، وهى على النحو التالى :

١ - من أول القسم (ص ٥٣) إلى (ص ٦٩) أخذ المصنف معظم مَوادّه من شرح السكرى لأشعار الهذليّين ، وقد كشفنا عن ذلك فى مواضعه ، وخَرّجنا النصوص هنالك فى حواشِى الكتاب .

٢ - من صفحة ٧٥ إلى صفحة ٢٠٤ نقله عن أبى عمرو الشَّيْبانِى من كتابه الجيم ، وقد استطعنا تخريج نصوص هذا القسم من الجيم ، ونَبّهْنا على ما بينهما من فُروق ، وكان لرواية الصغانى - فيما نقله عن الجيم - الفضل فى التنبيه على كثير مما وقع فى مطبوع الجيم من تحريف وتصحيف .

وقد جرى المصنف فى ترتيب مادة هذا القسم على النسق المعجمى ، فتابع أبا عمرو فى إيرادها مرتبة على حروف المعجم ، بادئا بحرف الهمزة - وإن لم يعنون له ولا لغيره من الحروف - جامعا

---

(١) انظر ص ٥٠

(٢) انظر ص ٥١

(٣) انظر ص ٢٠٨

فى كل حرف ما اختاره من الكلمات المبدوءة به ، دون مراعاة للترتيب الداخلى للكلمة ، وربما أدخل فى بعض الحروف كلمات ليست منها ، سهوا منه ، أواستطرادًا ، أو متابعة لأبى عمرو فى مثل ذلك .

٣ – ما بقى بعد ذلك من صفحات الكتاب – وهو قليل جدا – نسب نقوله فيه إلى أصحابها ، كابن خالويه ، والأخفش ، والفرّاء[١] ، وابن الأنبارى[٢] وربما سمى الكتاب أيضا ، كالذى نقله عن الجوهرى فى صحاح اللغة[٣] ، وعن الأصمعى[٤] فى كتاب « المقصور والممدود » من تأليفه .

هذا ويجدر بنا أن ننبه إلى أن المصنف فى ضبط الألفاظ هنا جرى على أسلوبه فى كتبه الأخرى من الضبط بالعبارة ، أو بتسمية الحركة المطلوبة ، أو بالتنظير أحيانا .

نسختا الكتاب :

اعتمدنا فى تحقيق الشوارد على نسختين اثنتين لم تُشر إلى غيرهما فهارس المخطوطات التى التى رجعنا إليها ، وهاتا ن النسختان هما :

١ – النسخة الأُولى : مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة (شهيد على) – فى مجموعة تضم عشرة كتب للصغانى – تحت رقم ٢٧١٩ وتشغل الشوارد من هذه المجموعة أربعاً وأربعين ورقةً من ذاتِ الصَّفْحتين تبدأ من صفحة (٢٤ ب) وتنهى بنهاية صفحة (٦٨ ا) ومساحة الصفحة (١١ × ١٧ سم) ومسطرتها خمسة عشر سطرًا ، ومتوسط عدد الكلمات فى كل سطر ٩ تسع كلمات .

وهى مكتوبة بخط النسخ الجلى ، وهو يقرب مما نسميه اليوم خط الثلث الذى كتبت به عناوين الأقسام بحجم كبير ، وفى القسم الأول منها درج الناسخ على كتابة اللفظ التى شذت فيه القراءة ، مضبوطاً فى الهامش قرينَ السطر المشتمل على آيتة ، ومضى على هذا النهج

---

(١) انظر ص ٢٠٤
(٢) انظر ص ٢٠٦
(٣) انظر ص ٧١
(٤) انظر ص ٧١

أيضاً فى الورقة الأولى من القسم الثانى المشتمل على ما تفرد به يونس بن حبيب ، فيكتب فى الهامش قرين كلّ سطر اللفظ أو اللفظين الواردَيْن فى ذلك السطر ، وفى الزاوية اليسرى من أعلى الصفحة الأولى من كل كراسة كتب ترتيبها العددى من كتابها ، (إذ كانت هـذه المجموعة كما قدمنا تضم عدة كتب للصغانى) ليضبط تسلسل كراسات كل كتاب ، فكـتب فى الموضع المذكور « ثانية الشوارد ... ثالثة الشوارد » وهكذا إلى « خامسة الشوارد » التى انتهى الكتاب فى أثنائها ، وفى ثلاثة من هذه المواضع كتب تحتها « عورض به » أى بأصل المؤلف ، كما يفهم من قول الناسخ فى آخر الكتاب .

وفى بعض الحواشى هوامش استدراكية ، وأخرى تفسيرية بخط الناسخ ، نرجح أنها ثمرة هذه المعارضة ، وقد نبهت عليها فى حواشى التحقيق .

وهذه النسخة جيدةُ الخط ، مُتْقَنَةُ الضبط ، وكأن ناسخها حاكى أصل الصغانى الذى نقل عنه ، ففيها ما نعهده من لوازم الصغانى فى الكتابة والضبط ، كما نعرفها فى التكملة والعباب ، فمن ذلك الرموز التالية :

(صح) يضعها فوق الكلمة تأكيداً لصحة الضبط ، ونفيا لتوهم الخطأ أو السهو ، فمن ذلك ماجاء فى (٤٠ ب) من قوله : « ثبَقت العينُ تثْبِق ، أى أسرع دَمْعُهَا ، وثَبَق النهرُ » ، ووضع علامة الصحة فوق ثَبَق فى الموضعين ، نفياً لما يتوهم من أنه تحريف بثق بتقديم الباء وهو بمعناه ، وفى ص (٦٦ أ) قال الجوهرى فى صِحاح اللغة ، ضبط صحاح بكسر الصاد وعليها علامة الصحة وكتبَ فوقها (بخطه) زيادة فى تأكيد الضبط .

(معا) يضعها فوق الكلمة تنبيها إلى صحة الضبطين ، أو الرسمين ، أو الروايتين .
فمن الأول : ما أورده فى (٣٦ ب) من قول ساعدة بن جُؤيّة يصف امرأة جاءها نعى ابنها :

فبَيْنا تَنُوحُ اسْتَبْشرُوها بِحبِّهـا على حين أن كُلّ المَرامِ تَرُوم

فقد ضبط اللام المشددة من كلمة «كل» بالفتحة والضمة ، وعليها كلمة (معا) تنبيها لصحة وجهى الإعراب ، والضبطُ هنا نحوىّ .

ومثل قول نوفل بن همّام :

وأَبْيَض غِطْرَوْفٍ أَشَمَّ كأَنَّــه على الجُهْدِ سيفٌ صُنْتَه بصِيان (٥٨ أ)

وضبط الجيم فى (الجهد) بالفتحة والضمة ، وعليها كلمة (معاً) والضبط هنا لغوى .

ومن الثانى : قوله فى (٢٣ب) : تُجمع الرحا رُحِيًّا ، ورحِيًّا) كتب الرَّحا بالألف ، ووصل بها من طرفها الأسفل ى وكتب فوقها كلمة (معا) إشارة إلى صحة الرسمين .

ومن الثالث : قوله فى (٣٥ ب) : « وقال أبو المثلم :

كُلُوا هَنيئاً فإن أُثقِفْتُمو بكلاً مما تُصيبُ بنو الرَّمْداء فابْتكلُوا

كتب على كلمة « تصيب » «يجير » وفوقها (معا) إشارة إلى صحة الروايتين . ومثل ذلك فعل فى بيت ابن أحمر (٣٧ ب) :

بَنَّتْ عليه المُلكُ أَطْنابهَــا كأَسٌ رَنَوْناةٌ ، وطِرْفٌ طِمِرّ

فقد كتب فوق « بَنَّت » « مدّت » وعليها كلمة (معاً) .

(ث) يضعها فوق الحرف علامة على صحة الضبط بالحركات الثلاث ، كما فى كلمة « رغوة »

(خف) يضعها فوق الحرف ليدل على أنه غير مشدّد ، أو تنبيها على خطأ تضعيفه .

(ك) يضعها فوق الكاف إذا وقعت طرفا حتى لا تلتبس باللام .

(ح) يرسمها صغيرة تحت الحاء حيثما وقعت علامة على الإهمال ، حتى لا تلتبس بالجيم أو الخاء .

(ه) يرسمها فوق الهاء المتطرفة لئلا تلتبس بالتاء المربوطة .

(ن) نون مغلقة منقوطة فى وسطها ، أشبه بتلك لمستعملة فى الرموز الجبرية ، يضعها فاصلا بعد كل شاردة ، وكأنها رمز الانتهاء ، وقدالتزم ذلك فى الأقسام الثلاثة الأُولى .

ونجده ينبه على الإقواء إن وقع ، فيكتب فوق حرف الروى المخالف بخط دقيق كلمة (إقواء) .

وقد خلت نهاية الكتاب من ذكر اسم الناسخ ، أو تاريخ النسخ وكتب فى آخره ـ بعدعلامة الانتهاء[1] ـ هذه العبارة : (آخر ماكان فى أصل شيخنا الصغانى[2] بخطه ، والحمد لله ، وصلواته على سيدنا محمد وآله ، وفى هامش الصفحة الأخيرة عن يمينها خاتم مستدير يقرأ من نقشة الكلمات « وقفه » و « الشهيد على » و « لله تعالى » و « أن لا يخرج من خزانته » وفى أعلى الصفحة الأولى كتبت كلمة (وقف) بخط مغاير ـ أربع مرات .

وقد عولنا على هذه النسخة ، واعتمدناها أصلا للتحقيق ، لنفاستها ، وما امتازت به من الجودة والإتقان .

٢ ـ والنسخة الثانية : مصورة عن النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب تحت رقم (٤١٨ لغة) بعنوان « كتاب فيما تفرد به بعض أئمة اللّغة » وتقع هذه النسخة فى ثلاثين ومائة صفحة ، مساحة الصفحة (١٣ × ٥ر١٧سم) ، ومسطرتها ١٥ سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات فى كل سطر ٦ ست كلمات ، وقد كتبت على ورق حديث بخط النسخ الجميل ، وضبطت بالشكل ضبطاً كاملا ، ونقل الناسخ فى نهايتها العبارة التى ختمت بها نسخة « شهيد على » وزاد بعدها العبارة التالية وفيها اسمه ، وتاريخ النسخ :

« وقد وقع الفراغ من نسخ هذا فى يوم ٥ من رجب سنة ١٣٤٢ هـ الموافق ١٠ فبراير سنة ١٩٢٤م نقلا عن نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية بنمرة ٤١٨ لغة ، ونسخ ذلك بقلم الفقير الراجى عفو مولاه محمود صدقى النساخ بالدار المذكورة عمرها الله آمين » .

وثمة مصورة فى المكتبة الزكية تحت رقم ٤٤ وتقع فى أربع وثلاثين ومئة صفحة وهى شديدة الشبه بالنسخة السابقة من حيث الخط والضبط ، وأسلوب الكتابة ، كما تتفق معها فى الكلمات القليلة التى لم تتضح للناسخين ، وهى الكلمات نفسها التى جاءت غير واضحة فى نسخة (شهيد على) مما يؤكد لنا أن نسخة (شهيد على) هى أصل هاتين النسختين ، ولم نجد بين نسخة الزكية ونسخة دار الكتب من الفروق ما يستحق أن ننبه عليه ، أو أن نفردها بالوصف .

---

(١) علامة الانتهاء تكتب هاء أولى تتصل بها ياء راجعه هكذا (هيء) وهو اختصار كلمة (انتهى) .

(٢) أخبرنى المرحوم الأستاذ عبد الستار فراج أنه اطلع على أصل مجموعة كتب الصغانى التى منها هذا الكتاب بمكتبة (شهيد على) ورأى عليها خط الدمياطى ، وهذا يعنى أنها كتبت فى حياة المؤلف ، لأن الدمياطى من تلاميذه كما قدمنا .

مُقْطَعَةَ الْخِدْمِ وَهِيَ إِذَا أَعْلَوُا السَّمُرَ وَأَحَدُّوا رُعُوسَهُ
الْأُولَى لَمْ يَقْبَيْتُ رُعُوسُهُ رَقِيقَةٌ فَإِذَا سَقَوْا هَذِهِ الْمَاشِيَةَ
الْجَارِيَةَ سَمِنَتْ حَتَّى تَقْطَعَ خَدَمُهَا مِنَ السَّمَرِ يَعْنِي خَلَاخِيلَهَا
الْخَشْخَشَانُ الرَّدْعُ مِنَ السَّمُرِ الْخَشِنُ الرَّدِيءُ مِنَ الصُّوفِ
دَعْهُ لِحَضِيرٍ إِذَا دَعَا الْأَمْرَ كَاهُ وَهُوَ لِسَانُ النَّعْجَةِ
خَفَسَ فِيهِ الدَّبْرُ إِذَا كَثُرَ الدَّبْلُ الْبَابُ الْعَصِيرَةُ
الدُّغْرُورُ مِنَ الرِّجَالِ الْعِرِّيضُ الْفَاجِرُ دَاعٍ دَاعٍ
نَعَمْ فَدَاعٍ دَاعٍ وَدَاعٍ دَاعٍ وَدُعْ دُعْ لِلنَّعَمِ إِلَيْهِمْ
دَغَرَ الْحَمْلُ لِسَانَهُ إِذَا دَخَلَ مِنْ رُفْغِهَا وَرَضَعَهَا
يُقَالُ ذَهْ ذَهْ إِذَا أَسْلَى النَّاقَةَ بِاسْمِهَا لِتَحِنَّ إِلَى وَلَدِهَا
الْمُدْرَجُ مِرْعًى لِلْإِبِلِ الَّتِي تَعْمَلُ الْبِتَاجَ التَّذْرِيدُ أَنْ تَعْلُقَ
الْعَبْدَ فِي عُنُقِ الْأَجِيرِ إِذَا فَرَّتْ إِلَيْهِ التَّدْعُ بِشَيْءٍ
الشَّيْخُ الْكَبِيرُ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ فِي مَشْيِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ
الدَّبِيلُ أَرْضٌ مُسْتَوِيَةٌ سَهْلَةٌ لِلنَّهَارِ مَلْأَى حُزُونَةً
نَبْتُ النَّهْيِ وَالْحَلَمَةِ وَالرُّخَامَى وَالدِّسِّ مَا انْتَشَرَ

مِنْ وَرَقِ الْأَرْطَى دَامَتِ الدَّلْوُ اسْتَلَاثَتْ وَأَدْمَنَتْهَا أَنَا
دَلَّكَهَا غِذَاهَا الدَّخْلَةُ الَّتِي تُعْتَمَلُ فِيهَا النَّخْلُ الْوَحِيُّ
الدُّرَّةُ سَنَامُ الثَّوْرِ الْهَجِينِ الدَّعْدَعُ مِنَ الْأَرْضِ الْمَرْدَاءُ
دَاءٌ أَنَّهُ غَطَّيْتُهُ جَاءَ بِوَلَدٍ دَقِيقٍ أَيْ صَغِيرٍ قَصِيرٍ وَقَدْ
أَدْقَلَ تَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا مَدَحْنَاهُ وَمَدَحْنَاهُ دَاةٍ دَاةٍ
التَّدْوِيَةُ أَنْ تَدْعُوَ الْإِبِلَ فَتَقُولَ دَاهْ دَاهْ دَرَّةَ بَنُو
فُلَانٍ عَلَى مَاءِ بَنِي فُلَانٍ إِذَا طَرَقُوا عَلَيْهِمْ فَجَاءَةً جَاءُوهُمْ
الدَّرَاغَمَةُ الِاسْتِعْجَالُ الدَّعْفَسُ مِرْعَاةُ الْإِبِلِ الَّتِي تَنْتَظِرُ حَتَّى
تَشْرَبَ الْإِبِلُ ثُمَّ تَشْرَبُ ثُؤْرَهَا وَهِيَ الدَّعْرُ أَيْضًا
يُقَالُ لَدَهَالَهُ الْبَهْرَاءُ مُنْهَلٌ مُدْرٌ التَّدْرِيَةُ الصَّنْعَةُ
الدَّيَاصَةُ مِنَ السَّحَابِ الْكَثِيرَةُ الْمَاءِ فَصِيرُ الدَّرَابِينِ
خَشَبُ التَّفْوِيفِ الْوَاحِدُ دُقَالٌ الْمَدْوَرَةُ مِرْعَاةُ الْإِبِلِ
الَّتِي يَدُورُ عَلَيْهَا الرَّاعِي وَنَحْلُبُهَا قَالَ ـــــ
إِنِّي كَفَانِي ذُرَى الْهَضَابِ مَدْوَرَةٌ كُوَمٌ تَعَاوَرُ مُدَّ الْغَيْرِ مُخْتَرِمُ
تَمَّ لَمَّا عَلَى الْإِبِلِ إِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الدَّبَرُ عَلَى الْإِبِلِ

الورقة (٦٦ / ١ ، ب) من نسخة شهيد علي

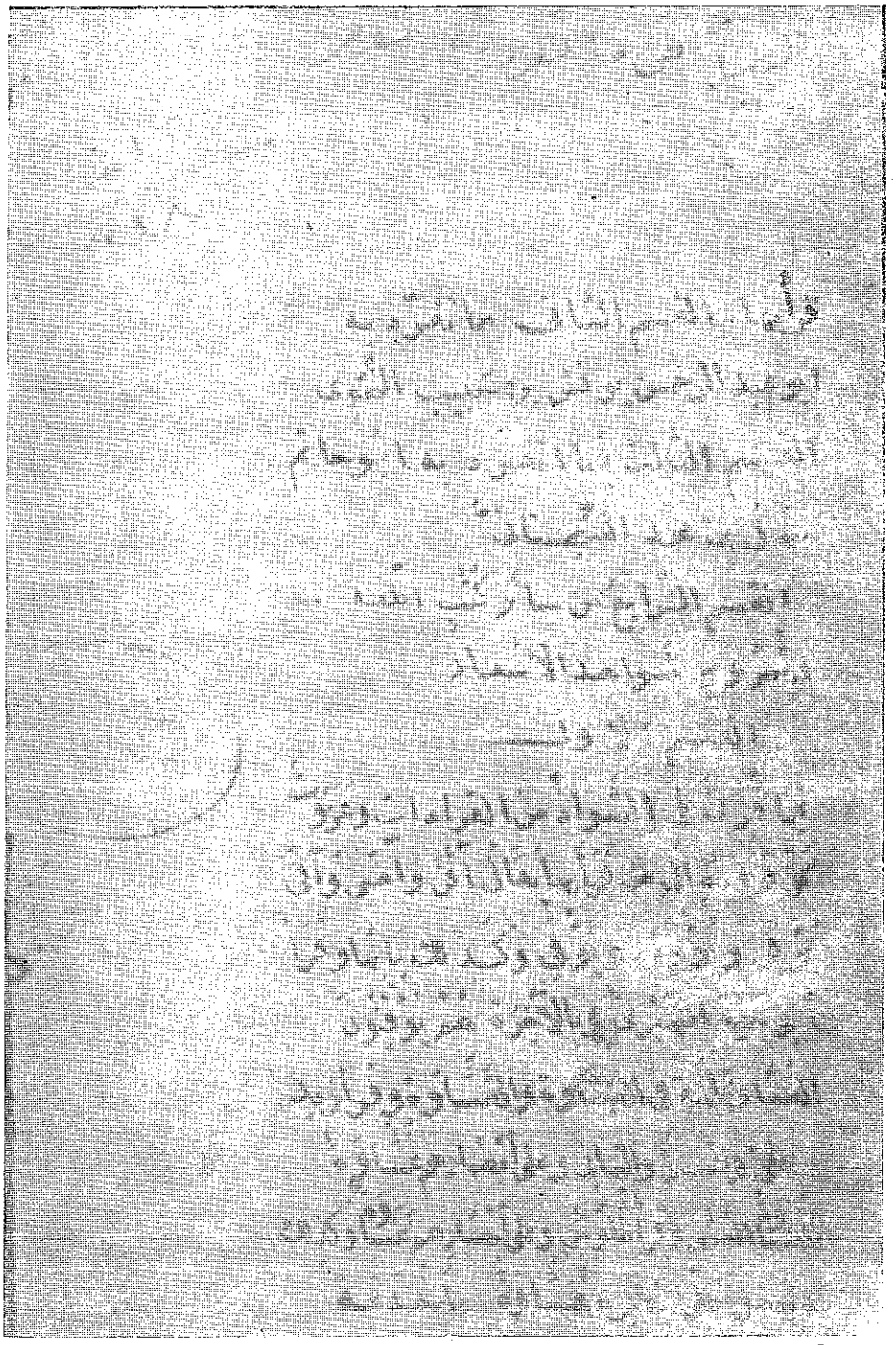

(الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية)

منهج التحقيق

– اعتمدت نسخة (شهيد على) أصلاً عوّلتُ عليه فى التحقيق ، إذ جاءت من الصحة والضبط على نحو ما وصفنا ، فكانت جديرة بالثقة فيها ، والاطمئنان إليها ، واصطحبت معها نسخة دار الكتب ، ولم أجد من الفروق بينهما ما يستحق التنبيه عليه .

– وقد حرصت على ضبط النص بالشكل ضبطاً يكاد يكون كاملا ، متابعة للأصل ؛ ولأن ذلك عندى أمر ضرورى فى إخراج النصوص اللغوية ؛ إذ كان الضبط هو المستهدف منها ، وكانت إنما يرجع إليها من أجله تصحيحاً لخطأ ، أو نفيا لشبهة ، أو استيثاقاً من صواب .

– واجْتَهَدْت فى تخريج نصوص الكتاب من مظانّها ، فوفقنى الله إلى الكثير منها ، فأشرت إلى مصادره فى حواشى التحقيق ، وربما أضفت فى هذه الحواشى تكملة لنص اختصره المصنف ، أو شاهداً ورد معه فى المصدر الذى أخذ المصنف عنه .

وفى تخريج بعض النصوص من المعجمات آثرت ذكر المادة التى ورد بها النص بين قوسين فأقول مثلا : اللسان (حلا) أو القاموس (فضو) وهكذا .

– وترجمت فى إيجاز – للأعلام الواردة فى النص ، ولا سيما القراء ، واللغويين ، أما أصحاب الشواهد فلم أعرّف بهم ، لأننى وجدتهم إما من المشاهير الذين لا يضيف التعريف بهم جديداً ، كامرىء القيس ، وزهير ، وعمرو بن قميئة ، وابن أحمر ، وإما من المجاهيل الذين تداول اللغويون من شعرهم أبياتاً يستشهدون بها ، ويصعب التعريف بهم على من أراده ، كالنظّار وأبى جونة ، وجابر بن عتاب الفريرى ، والرعبل بن القرب السمينى ، ونوفل بن همام ، وأمثالهم .

وقد أكثر المصنف – فيما نقله عن أبى عمرو فى الجيم – من الإنشاد لمن سّماه « صالحا » فما أدرى : أهو صالح بن عبد القدوس (١٦٧ هـ) أم غيره ؟

وفى القسم الأول التزمت الإشارة إلى اسم السورة ، ورقم الآية التى حكى فيها القراءة الشاذة .

- وأُثبتُّ أرقام اللوحات فى نسخة الأصل ، فأشرت إلى كل من صفحتى اللوحة برقمها متبوعا بالحرف (ا) للصفحة اليمنى ، وبالحرف (ب) للصفحة اليسرى ، أضعه مع الرقم عند بداية الصفحة بين معقوفين هكذا [ ] .

ورمزت إلى نسخة « شهيد على » فى حواشى الكتاب بالحرف (ش) وإلى نسخة دار الكتب بالحرف (د) .

هذا : وقد حرصت على تزويد الكتاب بطائفة من الفهارس الفنية التى تيسر الرجوع إليه ، والإفادة منه .

واكتفيت بالإشارة إلى مراجع التحقيق فى الحواشى مستغنيًا بذلك عن جمعها فى نهاية الكتاب فى فهرس مستقل .

* * *

هذا : وكم أفدت من توجيهات أستاذى الجليل الدكتور محمد مهدى علام الذى أسعدنى بقبوله مراجعة عملى فى تحقيق هذا الكتاب ، فكان لى من توجيهاته القيمة ، وآرائه السديدة ما أقال العثرة وعَصَم من الزَّلَل ، فإليه أتوجه بالشكر الجزيل ، داعيًا المولى - عز وجل - أن يسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، إنه سميع مجيب ، وهو سبحانه الموفق إلى الصواب والهادى إلى سواء السبيل .

مصطفى حجازى
المدير العام للمعجمات واحياء التراث
بمجمع اللغة العربية